

الكتاب: سيرة الإمام علي (ع)
المؤلف: أحمد بن محمد البكري
الجزء:
الوفاء: ٨٩١
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع:
المطبعة: مطبعة المنار - تونس
الناشر: مكتبة المنار - تونس
ردمك:
ملاحظات:

سيرة الإمام علي
بن أبي طالب
كرم الله وجهه
وفتحة السبعة حصون ومحاربتة
الهضام بن الحجاف بن عون بن غانم الباهلي
برواية المؤرخ القصصي الشهير
أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن محمد البكري
طبع على نفقة
التيحاني المحمدي
صاحب مطبعة ومكتبة المنار
مطبعة المنار - تونس

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي تفرد بقاءه ونور بمعرفته قلوب أوليائه وطيب أسرار الصادقين
يطيب ثنائه الحي القيوم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في ارضه وسمائه أحمده
سبحانه وتعالى حمدا تعرف بالعجز عن عدد آلائه واشهد ان لا إله إلا الله وحده
لا شريك له الذي تفرد بعزه وبقائه واشهد ان سيدنا ونبينا ومحمدا صلى الله عليه
وسلم عبده ورسوله خاتم أنبيائه وسيد أصفياه اللهم صلي وبارك على هذا النبي
الكريم والرسول السيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد وعلى أصحابه صلاة
وسلاما دائمين متلازمين بدوام ارضه وسمائه تسليما كثيرا (وبعد) فقد روى
أبو الحسن أحمد بن عبد الله محمد البكري رضي الله عنه قال حدثنا يوسف بن
عبد الله وخالد بن رفاعة الجهني قالا حدثنا خلق كثير يروي بعضهم عن بعض
فأخذنا من ذلك ما نرجوه إن شاء الله تعالى تعليقة على قدر الروايات قالوا حدثنا
صاحب الحديث عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده المبارك وكان ريح ومطر إذ سمعنا صوتا
جهوريا من وراء المسجد يقول السلام عليك يا محمد ورحمة الله وبركاته فقال
رسول

الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فالتفت لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ردوا

علي إخوانكم السلام رحمكم الله فقلنا يا رسول الله علي من نرد ونحن لم نر أحدا
نرد على الملائكة أم على الجن فقال بل علي إخوانكم الجن الذين آمنوا وصدقوا
برسالتني ثم نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أظهر لنا أيها المتكلم لنراك فظهر لنا
شيخ قال

علي رضي الله عنه وإذا به عرفطة بن شماخ وكنت به عارفا لان النبي صلى الله عليه
وسلم قد

أرسلني معه إلى قومه فأحرقت بأسماء الله تعالى وبنوره منهم زيادة عن خمسين قبيلة
من الجن وآمن منهم خلق كثير فسلم عرفطة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجلس النبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قال يا رسول الله قد
جئتك لأخبرك

عما نحن فيه الحرب والوقائع وقتال القبائل الجواهل فقال النبي صلى الله عليه وسلم مع
من

يا عرفطة فقال مع كفار الجن ومردتهم وكذلك مع عفاريتهم عبدة الأوثان فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ديارهم قريية منا أم بعيدة يا عرفطة فقال يا سيدي في جبال وأوكار

وأودية شتى قد أهلكنا منهم خلقا كثيرا وأهلكوا منا خلقا كثيرا وان لهم صنعا يسمونه المنيع وقد تعالى الله عز وجل عن أن يمثل وهو السميع البصير فصنمهم هذا قائم بخدمة الملك الهضام بن الجحاف بن عوف بن غانم الباهلي الملقب بمرآة الموت لعنه الله والصنم المنيع موكل به مارد يقال له عنريس بن دريس بن إبليس وله عشيرة عظيمة وقبيلة جسيمة ونحن في غزوهم وجهادهم وقد اشتدت بلية القوم وتعاضم امر الهضام وكفر بالله تعالى واتخذ من دون الله إلها يسمونه المنيع وجعل له جنة ونار وجعل له زبانية وسماهم الغلاظ الشداد وجعل له ملائكة وسماهم البررة الكرام وجعل في جنته الأشجار والأنهار والأطيار وجعل فيها المخدرات المنعمات وسماهم الحور العين وجعل لها عرشا وكرسيا ومن العفاريت الطيارين وسماهم الملائكة المقربين وأنت رسول الله لم يبلغك من ذلك كله وقد اشتد تمرد القوم وطغيانهم وكفرانهم لرب العالمين (قال الراوي) فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفطة اشتد به الغضب

حتى

كاد يضطرب كالسفينة في الريح العاصف وسجد على الأرض طويلا ثم رفع رأسه وقد سكن ما به من غيظ ولمع النور من بين عينيه صلى الله عليه وسلم حتى لحق عنان السماء ثم

أقبل على عرفطة وقال له انصرف شكر الله سعيك وأحسن إليك وانا ابعث إليهم رسولا وهو خليفتي ونقمتي على أعدائي فقال عرفطة يا رسول الله إذا بعثت للقوم رجالا من الانس أبادوهم وقتلوهم فان عساكر الانس لن يطيقوا قتال الجن ومردتهم ولن يبلغك ما تريد الا الفارس الصنديد والبط الشديد قالع الحلقة والقصر المشيد ومبيد الإنس والجن في البئر العميق مفرق الكتائب ومظهر العجايب والغرايب صاحب الحسام القاضب والغمام الساكب ابن عمك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم غاب عرفطة أعين الناس فنظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تغير لونه وظهر غيظه واحمرت عيناه وتقوس حاجباه فعم ذلك على المسلمين وجلسوا حوله ينظرون إلى الأرض ويحدقون إلى الإمام علي كرم الله وجهه ويشيرونه عما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم والإمام علي لا يتكلم ولم يرد عليهم (قال الراوي) فبينما

الناس في ذلك وإذا بجبريل عليه السلام قد نزل من عند رب العالمين فوثب له النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا وهو ينادي لبيك لبيك اللهم إنا نسألك الفرج منك يا مفرج كل كرب ومزيل كل هم وغم وخرج النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد

وقال لا يقيم أحد فن مكانه حتى أعود إليكم وخرج فمكث قليلا ثم رجع إلى أصحابه وهم جلوس كل واحد منهم في مقامه وقد تهلل وجهه صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا

وجعل النور يشرق من بين عينيه صلى الله عليه وسلم فوثب الناس إليه يسألونه عن امره (قال الراوي) فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجلسوا بارك الله فيكم فجلس الناس جميعا وصمتوا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين سلمان وعمار فأجاباه بالتلبية ها نحن بين يديك قل ما شئت

يا رسول الله فانا لكلامك سامعون ولأمرك مطيعون فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم سيروا في

شوارع المدينة ونادوا الصلاة جامعة بمسجد المختار الله الواحد القهار فلما سمع الصحابة منه صلى الله عليه وسلم ذلك النداء جعلوا يهرعون إليه من كل جانب ومكان حتى امتلأ

المسجد بالنبي بهم ثم صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر وخطب خطبة بليغة فشوق إلى الجنة

ونعيمها وحذر من النار وجحيمها (قال الراوي) قال النبي صلى الله عليه وسلم معاشر المسلمین:

ان الله جل وعلا تقدست أسماؤه ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا اله غيره بعد رفع السماء بلا عمد وأرسى الجبال وتد وزين السماء بالنجوم الزهرات والأفلاك الدائرات واجري فيها الشمس والقمر آيات لأولي الأبواب وبسط الأرضين بحكمه على تيار الماء وثبتها بالجبال الراسيات واضحك تغوير البقاع الجامدات بفيض دموع السحاب المسخرات وثبت الرياح العاصفات مخاليب الطيور الصافنات وقوى قبة الجبال الراسيات تلاطم أمواج البحار الزاخرات وعلق أستار وأوراق الأغصان النضرات (قال الراوي) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها المسلمون: انا بشر منكم

أكل مما تأكلون واشرب مما تشربون ولا اعلم ما كان ولا يكون ولا يحيط بذلك علما الا من يقول للشيء كن فيكون ثم بعد ذلك أعلمكم انه قد وفد على عرفطة من إخوانكم في الدين وهو من الجن المؤمنين وقد أخبرنا عن اللعين الملك الهضام ابن الحجاج بزعوف بن غانم الباهلي لعنه الله قد اتخذ له صنما وسماه

المنيع وصنع له جنة ونارا وملائكة وزبانية فيدخر من اطاعه وأطاع صنمه

(٤)

في جنة ويعذب بناره من عصاه وعصى صنعه وقد غره حكم إبليس اللعين واستدرجه وأهاله فلما سمعت ذلك سمعت ذلك كبير علي وعظم لدي ولأخفف عني ذلك الا حبيبي جبريل

وقد أتاني وأخبرني عن ربي عز وجل وهو يقول يا محمد الله يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك اني قد علمت بما في نفسك وما قد نزل بك واني مبشرك ان دمار القوم ودمار صنمهم على يد رجل يحبه الله والملائكة وهو سيف نقتك وباب مدينتك التي ما سجد لصنم قط وهو زوج البتولي والمتولي لدعوتك وحامل رايتك الفتى الولي مفرق الكتائب ومظهر العجائب والغرائب الحسام الغاضب والليث المحارب والغيث الساكب لبني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

كفر الله وجهه وهذه إشارة من عند ربي الاعلى ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كشف عويذة فإذا فيها
عبرة سوداء مكتوب فيها بقلم القدر لم يكتبها كاتب فلما نشرها صلى الله عليه وسلم ظهر لنا نور له شعاع
عظيم فقال الصحابة يا رسول الله خبرنا بما فيها مكتوب بمشيئة الجبار امر من الطالب الغالب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ففرح المسلمون بذلك فرحا

شديدا وقالوا لقد فار من الجبار وقربه برسول صلى الله عليه وسلم وعلى الله الا خيارا حزن بذلك

للكفار قال الراوي ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم اقبل على أصحابه وقال لهم معاشر المسلمين هل فيكم

من وصل إلى ديار اللعين الهضام بن الجحاف بن عون فيخبرنا بما شاهد من ابطاله وأعوانه

وكفره وطغيانه فقام عند ذلك رجل من المسلمين يقال له عبد الله بن أنيس لجهني رحمة الله

عليه فقال انا أخشى ان يداخل قلبك الوهم والهم عن وصفي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل

يا أنيس فانا لا نخاف مع الله أحدا فقال يا رسول الله أنت بابي وأمي ان خبره عظيم ان الهضام ابن الجحاف لما نظر إلى أصنام العرب التي يعبدونها من دون الله عز وجل وجعل في سماء القبة حجرا من المغناطيس وفي أسفل القبة حجرا اخرا وعن يسارها حجرا يوازن بعضها بعضا وأوقف الصنم في

وسطها في الهواء بجذبه كل حجر بقوته وذلك الصنم مرصع بالجواهر واليواقيت النفيسة وكساه بالحرير الملون ونصب له كرسي مرتفعا



(e)

مكللا بالدر والجواهر وشده بقضبان الذهب الأحمر والفضة البيضاء فما كان من العاج الأبيض كانت كواكبه من الذهب وما كان من الأبنوس الأسود كانت كواكبه من الفضة البيضاء جعل لتلك القبة بابا عظيما من الذهب الأحمر وعلق على باب القبة سترا مزركشا وعلق من داخل القبة قناديل من اللؤلؤ بسلاسل من ذهب يوقد بطيب الادهان وبني من خارج القبة بيتا عظيما مانعا بالعلو وجعل سقف القبة من خشب الصندل وفصل أرضها وحيطانها بالرخام الملون وجعل من ورائها بيتا آخر مثل البيت الأول وما زال كذلك حتى جعلها سبعة أبيات على بعضها بعضها ولها سبعة أبواب

منها ما هو من العاج ومنها ما هو من الأبنوس وغير ذلك وقدر ركب في تلك البيوت جامات

من البلور المختلف الألوان فإذا طلعت الشمس على تلك الكواكب أشرق نورها على تلك البيوت والقبة وجعل على كل باب حاجبا موكلا به فإذا ورد إليه وأراد أو قصد إليه قاصد من بعض الملوك أوقفه الحاجب الأول والثاني كذلك حتى ينتهي إلى الباب السابع وكلما جاوز بابا نظر إلى غيره فإذا هو أعظم من الذي قبله فإذا وصل إلى المكان

فيه عدو الله الهضام وجده جالسا على سريره وقد أحدقت به جنوده والحجاب حوله فإذا وقعت بين يديه امر الهضام بقلع ثيابه فيقلعها ويلبسونه ثيابا غيرها ويقولون له ان ثيابك هذه عصيت فيها فهي لا تصلح ان تدخل على الاله المنيع وأنت تطلب منه الغفران ثم يدفع له خاتما من الحديد ويقولون له ان هذا الخاتم الذي تريد به عفوه عنك

فإذا ثبت في يدك فقد عفا عنك وقبل توبتك ثم بعد ذلك يأمر الملك الهضام بفتح القبة لذلك الشخص فإذا دخل على الصنم وشافي نفسه شيئا فيظن ان الصنم قد طالب رضاه وكلما قرب من الضم جذبته السلسلة إلى ورائه فإذا كان لا ينقلع الخاتم من يده يأمره بالسجود فيخر ساجد ولم يزل كذلك حتى يهتف به من جوف الصنم الشيطان الموكل به ويأمره بالقيام فيقوم فينذر ذلك الشخص مما أمكنه من الذهب والفضة أو جواهر أو جوار أو عبيد أو خبل قدر ما تصل إليه قوته وقد استولى

اللعين الهضام بهذه الحيل على أموال الناس فلما فرغ من ذلك خرج إلى فلاة عظيمة ملء الأرض فجمع الصناعات وأمر بحفر حفرة طويلة طولها أربعمائة ذراع وعرضها مثل ذلك ثم جعل لها أساسا وبنائها بالصخور العظام وأوقف عليها ألف عبد أسود غلاظا وأفرد ذلها ألف بغير يحملونها الأحطاب والأخشاب وألف عبد يجمعون لهم ذلك ويحملونه إلى الحفرة وألف يصرمون النار في الليل والنهار وسمى تلك الحفرة جهنم حتى إذا مر بهم طائر احترق من شدة لهيبها وبنى لها درجات عاليات ولما فرغ من ذلك بنى دائرة واسعة طولها عشرون فرسخا وعرضها مثل ذلك وجعل طينها المسك والزعفران وأحجارها من جميع الألوان مثل الأحمر والأصفر والأبيض والأخضر والأزرق وغرس فيها الأشجار وجمع فيها كامل الأوصاف والطيور وبنى في وسطها دكة بيضاء من الرخام المختلف الألوان واتخذ فيها قصور وجعل سقوفها من الذهب الأحمر والفضة البيضاء وجعل فيها جوارى أبكار كأنهن الأقمار ونظم ذوائبهن بالدر والياقوت ووكل بأبواب تلك المقاصير غلمانا مردا جردا وسماهم الملائكة

عليهم حلال من أنواع الحرير وعلى رؤوسهم عمام خضر وجمع في هذه المقاصير من الفواكه الصيفية والشتوية من أطيب الأثمار وجعل فيها الطيور تغرد على الأغصان بأنواع اللغات وجعل فيها أصناف الطيب المعجون بماء الورد من حول تلك المقاصير وفيها الخمر مسكوب والعسل مصبوب واللبن محلوب يصب في قنوات فمن أطاع هذا الصنم أدخله هذه الجنة ولذ بنعيمها ومن عصاه أدخله هذه النار يتلظى بجحيمها وقد تزايد امر هذا اللعين الجبار وشاع بين العرب بشجاعته وعظم شره حتى لقبوه بمرارة الموت (قال الراوي) فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال ويا ابن أنيس

لقد حدثتني لم اسمع مثله قط وأين أرضه وبلاده ومستقره قال يا رسول الله بأطراف اليمن مائلا إلى العمران في واد يقال له وادي القمر فنادى برسول الله صلى الله عليه وسلم أين أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين مفرق الكتائب ومظهر العجائب

ومبدي الغرائب الليث المحارب والغيث الساكب والحسام القاضب ليث بني غالب أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب فلما سمع نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وثب

قائما علي قدميه وانشد وجعل يقول شعر

لبيك من داع ومن منادي * لبيك نور الله في البلاد

لبيك من داع إلى الرشاد * فرجت عني كربة الفؤاد

قل ما تشاء يا أكبر العباد * أفديك نالا هلين والأولاد

(قال الراوي) فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم ضاحكا من قول الإمام

علي

كرم الله وجهه ورضي عنه ثم اقبل الامام علي النبي صلى الله عليه وسلم ووقف بين

يديه فضمه

النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقبله بين عينيه وقال معاشر المسلمين هذا علي

ابن عمي

ووارث علمي وزوج ابنتي وحامل رايتي وسيف نقتمي من أساء إليه أساء إلي ومن

أحسن إليه فقد أحسن إلي ومن أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني اللهم وال من

والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ثم قال عليه الصلاة

والسلام أسمعت ما وصفه عبد الله بن أنيس الجهني عن عدو الله هضام بن الجحاف

وتجبره وكفره وجموحه قال نعم يا رسول الله فقال رسول الله يا أبا الحسن ان الله

امرني ان أخبرك بهذا الخبر وقد وعدني ربي بنصرك وحفظك ورجوعك إلي سالما

غانما فماذا تقول وامر لك عصابة من المسلمين وجماعة من المؤمنين تسير فيهم إلى

عدو

الله الكافر وقد بلغني انه تكاسر من الورود وان أكثر منهم مددا وهو القادر

علي أن لا يبقي منها أحدا

(قال الراوي) فاطرق الإمام علي رأسه ثم رفع رأسه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونظر

ولم يتكلم ثم عاد إلى اطراقه ساعة ولم يتكلم ثم عاودها ثالثا فعظم ذلك على النبي

صلى الله عليه وسلم وقد تبين في ذلك الوقت في وجوه المنافقين وقال بعضهم لبعض

ان علي بن أبي

طالب كره التوجه إلى الهضام ويحق له ذلك ومن يقدر علي وصف عبد الله بن أنيس

وتكلم المؤمنين على قد ما وصل إليهم وقال بعضهم لاشك انه يطلب جماعة يسير بهم

إلى

عدو الله ولكنه استحياء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يذكر له ذلك وقال بعضهم

ان عليا كره

الخروج من غير جذع ولا فزع وكثرت الأقوال بين الناس وعظم على النبي صلى الله

عليه وسلم فقال

يا أبا الحسن ما السكوت والتواني برد الجواب ما أملت منك الا انك امر مبادر والى ما
أخبرتك

(٨)

مسارع فهل لك من حاجة فتقضى أو كلمة فتمضى (قال الراوي) فلما سمع ذلك الإمام علي كرم الله وجهه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم ضاحكا وقال يا رسول الله

حاجتي تقضيها كائنة ما كان قال نعم اي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا اني أقضيها ان وجدت إلى قضائها سبيلا فقال الإمام علي رضي عنه ألم تأتيك البشرى من عند المولى الكريم رب العالمين ان ترسلني لهذا الامر وضمن لك سلامي وحفظ رعايتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الحسن فقال الإمام علي كرم الله وجهه إذا

كان من يعصمني ويسلمني ويحفظني لا حاجة بأحد غيره ولا تبعث لهذا الامر أحد سواي فحسبي يا رسول الله نصر الله عز وجل وهو خير الناصرين واسأل الله جلب المسرة إلى فؤادك

(قال الراوي) فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تهلل وجهه فرحا مسرورا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن كفاك الله شأنيك وأهلك معاديك ثم كبر

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمين جميعا عند ذلك فرحين بما كشف الله من قلوبهم

من الهم والكرب وارغام انف المنافقين أعداء الله قال عبد الله بن أبي سلول لعنه الله وهو رأس المنافقين بالمدينة هذه أعظم فرحة وحق اللاتي والعزى لنحرقن عظام علي بن أبي طالب بنار الهضام ولو خرج محمد إليه بجميع أصحابه ما قدروا عليه ولا بقيتم ترون علي بن أبي طالب بعد هذا اليوم ان هو خرج إليه ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا بدواة وقرطاس وقلم ودفعها إلى الإمام علي ابن أبي طالب وقال له اكتب

يا أبا الحسن إلى عدو الله الهضام كتاب بالتحذير فكتب الإمام علي كتابا يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن عبد مناف داعي الورى إلى الانصاف وهاديهم إلى طريق الخير والغفران إلى الهضام بن الجحاف الباهلي اما بعد لقد اتصل إلينا ما أنت عليه من التكبر والتجبر والعتو على الله عز وجل وما صنعتته من جنة ونار يا ويلك والويل ثم الويل لك تتخذ الحديد والجنادل أربابا من الله عز وجل رأيت ما صنعتته من نارك لو أنك أمرت عبيدك الذين ينقلون الحطب والأخشاب ان يسكنوا عنه يوما واحدا لسكن لهيها وانقطع

وهجها وخمد حرها يا ويلك والويل لقومك بل لو حملوا إليها الماء وسكبوه فيها لطفئت

حرارتها وذهبت جمرتها فأين نارك من نار وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين لا يخمد حرها ولا يبرد لهيبها وهي لا توقد بحطب ولا بخشب بل توقد بسخط الله عز وجل فلا تخمد في ليل ولا في نهار عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون واعلم أن نارك التي توقدها إنما هي جزء منها وهي اثنان وسبعون جزء واما جنة الخلد التي وعد المتقون ففيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين لا يفنى نعيمها ولا ينقص ثمرها ولا يصفى ورقها والمؤمنين فيها متنعمون في جوار رب العالمين وعلى الأرائك متكئون واما جنتك التي أحدثتها فلو أمرت بمنع الماء عنها لجفت أغصانها وفسد ثمارها فاترك ما أنت عليه من تكبرك على خالقك ورازقك ولا

تنفعلك نارك ولا جنتك فقل معي لا إله إلا الله محمد رسول الله واشهد لي بالرسالة تكن من الفائزين والصدّيقين فان أبيت رميتك بسيف قاطع وبطل مانع (قال الراوي) ثم إن الامام عليا كرم الله وجهه قرأ الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده الكريمة وطواه بعد أن ختمه بخاتمه الشريف ثم قال يا أبا الحسن خذ معك من المسلمين رجلا فإذا قربت من ديار عدو الله فقدمه امامك

رسولا بهذا الكتاب فان اجابه إلى ما دعوناه إليه وآمن بالله وصدق برسالتي فكف يدك فان الله حلیم لا يجعل بالعقوبة على من عصاه وان أبي هو وعصى فانظر لنفسك وتدبر

امرك واحذر من الحصون في مسيرك وتوكل على الله وقل لا حول ولا قوة الا بالله العلي

العظيم (قال الراوي) ثم اقبل النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال لهم من يمضي برسالتي

مع ابن عمي وانا اضمن له الجنة ولا يكون الا عارفا بديار القوم فعند ذلك نهض جميل قائما على قدميه وكان جميل رجلا مشهورا لأنه كان قريب عهد بالاسلام وكان لا يخفى عليه شئ من مياہ العرب ولا من منازلهم فدفع له النبي صلى الله عليه وسلم

الكتاب وقال سر يا ابن كثير (قال الراوي) ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم اخرج مع ابن

عمي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعند ذلك قال ابن كثير يا رسول الله دعني أتقدم امام ابن عمك فاني لا أطيق المسير معه واني إن شاء الله تعالى أسبقه إلى ديار



(۱۰)

عدو الله الهضام وأسير إليه راجعا برد الجواب وألاقيه وأسرع له الخطاب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جميل أصلح الله شأنك فقال يا رسول الله ثم اتى إلى داره وأصلح

شانه وشد راحلته واقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وودع من كان حاضرا من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم سر يا جميل وقل لا حول ولا قوة الا بالله العظيم. ثم إن

جميل ركب على ناقته وخرج من المدينة وهو عدو الهضام هذا كان من حديث جميل واما ما كان من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فإنه أقام في المدينة بقية ذلك اليوم فلما دخل المساء اقبل النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بخبر الذي

مضى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن أيهما يخرج على مطيتك أم على جوادك

بل المطية أصلح فإنها تحمل الزاد وتصير على مشقة السير، وقد جعلت الامر إليك فقال له الامام انا موفق بحفظ الله ومتوكل على الله، ولو جعلت الامر إلي فاني لا أسير من عندك الا رجلا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا الحسن فكيف يكون لك

طاقة بحمل الزاد فقال له الإمام علي رضي الله عنه وحق الذي اختارك واصطفاك لا أزال صائما حتى يردني الله إليك سالما.

(قال الراوي) فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكلام من علي كرم الله وجهه تغرغرت عيناه بالدموع ثم قال اللهم لا تفجعني بفقدته ولا تحزني من بعده اللهم انه وديعتي إليك فاحفظه حتى ترده إلي الا سالما يامن لا تخيب عنده الودائع ثم إن الامام عليا رضي الله عنه انصرف إلى منزله وبات الليلة يتحدث مع أولاده فلما أصبح الصباح قام الإمام علي رضي الله عنه فتوضأ وأفرغ آلة حربه وتحزم بمنطقته وتنكب بجحفته وضم أولاده وجعل يقبل هذا مرة وهذا مرة ثم اقبل على فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقبلها بين عينيها ثم خرج إلى المسجد وصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح

ثم قال يا رسول الله منك القول ومني السمع والطاعة أتأذن لي بالخروج فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لله الامر من قبل ومن بعد فإذا عزم فتوكل على الله ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على

قدميه ونهض الناس معه ولم يبق أحد الا خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوصي الامام عليا

كرم الله وجهه ويحدثه بما يجري به في طريقه والناس يتعجبون من سير الإمام علي

(11)

وحده فلما بعد عن المدينة وقف النبي صلى الله عليه وسلم وودع الإمام علي ودعا
 للإمام بدعوات
 تحجب عنه خلق الأرض والسموات ثم امر الامام بالمسير، وقال سر بارك الله فيك
 الله خليفتي عليك (قال الراوي) ثم إن صلى الله عليه وسلم و امر الناس بالرجوع فرجع
 الناس وسار الامام طالبا بلاد اللعين الهضام وحيدا بنفسه ليس معه من يؤانسه
 الا الله وكان المنافقون قد خرجوا جميعا عند الوداع وهم يقولون اما ترون هذا
 علي بن أبي طالب إذ هو تعرض لمرارة الموت لم يبق لهذه الديار يعود وهو فرحون
 مسرورون يقولون قد فقد علي بن أبي طالب حين صار لمرارة الموت والنبي صلى الله
 عليه وسلم
 والصحابة يدعون للإمام بالنصر والتأييد على أعدائه فهذا ما كان من امر المنافقين
 والنبي صلى الله عليه وسلم (قال الراوي) واما ما كان من امر الإمام علي كرم الله
 وجهه فإنه
 سار واستقام به المسير واسلم نفسه لله عز وجل وانشد شعرا
 أسير وحدي إلى ما قد أراجيه * إذ كل ما قدر الله من امر ألاقه
 لا تكره الموت في بدو ولا حضر * ان يدن منك فكن أنت مدانيه
 أسير مستلما لله معتمدا * عليه في كل أحوالي أناجيه
 به الود ومالي عنه من عوض * جل الاله فياني من محبيه
 سواء ومالي عنه مصطبر * وكيف وكيف عبد يرجي من مراجيه
 صلى الاله على طه وعترته * ما دام طير على غصن يناجيه
 (قال الراوي) فبينما الامام سائر وقد غاب عن المدينة وإذا بصائح من وراه
 ينادي يا أبا الحسن سألتك بالله ورسوله ان تقف لي حتى ألحقك فوقف الامام
 والتفت ورائه وإذا برجل طويل السواعد عريض المناكب وهو يسرع في خطائه
 ويروى في مشيه فتأمله الإمام علي رضي الله عنه فإذا هو رجل من أشرار
 المنافقين يقال له ورقة بن خضيب من أقارب ابن أبي سلول المنافق لعنه الله
 وكان الملعون يتجسس الاخبار لعدو الله الهضام بن الجحاف ويظهر الاسلام
 ويكتم النفاق ويريد بذلك انه يظهر برسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه فلم يجد
 لذلك سبيلا فلما نظر الامام خرج في ذلك اليوم وحيدا فريدا اقبل ذلك الرجل
 على قومه للمنافقين فرحا مسرورا وقال لهم الان قد بلغت مرادي وبلغت أمنيته

وها انا أريد ان أرافق علي بن أبي طالب إلى أن أجد فرصة أو غفلة عند قومه أو سيره فاقطع رأسه وأمضي به إلى الملك الهضام لأنال عنده المنزلة العليا وعند الاله المنيع

الرفيع وأتقرب إليهم وأصير عندهم صاحب قدر واشفي قلبي من العلل فقال اخوته المنافقين نشكر اللاتي والعزى وفرحوا بذلك فرحا شديدا لما يعلمون من شجاعته وقوة قلبه فما منهم الا وقد وعده بصلته وجعل له جهل ان وصل إلى ذلك (قال الراوي) فعند ذلك خرج ورقة من خضيب ولحق أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه معارضا له سالكا طريقا قال فالتفت الامام إليه وقال من أنت ومن أين اتيت والى أين تريد فقال ورقة اتيت أريد مرافقتك ومصاحبتك ومساعدتك على أعدائك

لأنني مبهتج بمحبتك ومجتهد في خدمتك عند ذلك قال أمير المؤمنين كرم الله وجهه من أحبنا لقي بحبنا نعيما ومن أبغضنا لقي ببغضنا جحيم وكان الله بما قضى علينا ارجع يا ورقة لا انس لي بك والله أعلم بما أضمرت فجزاك عليه يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال ورقة يا أبا الحسن اني ما اتيت حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموافقة والمسير معك والمساعدة لك على أعدائك ثم انه الج عليه في السؤال بالمخادعة والحيلة

عنه إلى ناحية من الطريق وسمح له بالمسير معه (قال الراوي) ثم سار عدو الامام متجانبا

متباعدا عنه وسار عدو الله إلى جانبه ولم يبدله شيئا وكنتم امره فقال له الامام ان كان ولا بد من مصاحبتي فلا تسألني عن شئ حتى يحدث لك منه ذكرا فاجابه ورقة إلى ذلك وقال بأبي أنت وأمي وكيف أتعرض لك في شئ وأنت من بيت النبوة ومعدن الرسالة واقتبس منك ومن علمك ولا أنزعك في صنعك ولا أمانعك قي امرك وانما انا مساعدك في سفرك ومعاونك على أعدائك فعند ذلك خلى الامام سبيله وجعل يقول:

من صاحب الليث يرجو منه خدعته * يسقى من أظفاره كأس الزبي جرما
من يشرب لا يامن عواقبه * لو كان يعلم عقبى السم لامتنعا
من أضمر الشر يأتي نحوه عجلا * مسارعا قاصدا قد جاء متبعا

(قال الراوي) فلما سمع ورقة هذه الأبيات من الامام لم يرجع عما أضمره بل إنه سمع غيظا و ثم يزالا سائرين والإمام علي يقول حسبي الله ونعم الوكيل حتى وجب عليهما فلم يجد الامام ماء يتوضأ منه فسار إلى أن قرب العصر فأشرف

الامام على رجل واقف على بئر وقد ملا سقيه والى جانبه مائدة منصوبة وعليها صحف مملوءة بالطعام وأقراص من العيش فلما نظر ذلك الرجل الامام وورقة قال هلما إلى الطعام

الفاخرة والماء البارد بلا ثمن ولا جزاء فأسرع إليه الامام ولم يمهل حتى قبض على أطواقه وجلد به الأرض وجلس على صدره وحز رأسه ثم عمد إلى الماء فأراقه ثم حفر حفرة كبيرة وجعل فيها الطعام ورد عليه التراب حتى غيبه وسار كأنه لم ينبه شيئا فقال له ورقة يا أبا الحسن قد قد تجارات على فعلك وأسرفت في صنعك وظلمت في حكمك

بما فعلت بهذا الرجل الذي يبرد الماء لعابر هذا الطريق وينصب للجيعان من غير ثمن ولا جزاء وتقدمت إليه وذبحته والى طعامه فدفنته والى مائه فارقته وتركتنا نلتهب عطشا فوالله لقد تجارات في فعلك وأسرفت في صنعك فقال له الامام ألم أقل لك لا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذاكر ارجع الان فإنك لن تستطيع معي صبورا

(قال الراوي) فازداد اللعين كفرا وامتأ غيظا وقال في نفسه كيف ارجع واداع ابن أبي طالب وحق اللاتي والعزى لا ارجع حتى اقطع رأسه وأمضي بها إلى الملك الهضام وأبرد قلبي وأشفى غليلي ثم اقبل على الامام بمكره وخداعه وقال يا أبا الحسن أنتم أهل الجود والكرم والاحسان والعفو والامتنان ولست أعود إلى شيء تكره فسمح له الامام بالسير معه فسار إلى إلى وقت العصر ثاني يوم فأشرف الامام على حوض مملوءة وبجانبه مسجد قد طرح النحل على جدرانها وإذا بشيخ كبير جالس إلى جانبه وعنده جارية حسناء وعليها أثواب الزينة وثياب مزعفرة فلما وصل إليها الامام حل منطقتة ووضع سلاح واخرج زنادا كان معه وقده منه نارا وأطلقها في المسجد فاحترق المسجد سريعا وتساقطت حيطانته ثم انه

حفر حفرة وعمد إلى الصبية فجعلها فيها ورجمها حتى ماتت ثم عمد إلى الشيخ فقطع

يديه ورجليه وتركه مخضبا بدمائه ثم عمد إلى الماء فتوضأ وصلى وانصرف كأنه لم يفعل شيئا

(قال الراوي) فلما رأى ذلك ورقة ثار وامتلاً غيضا وحمقا على الامام لكنه خشى من صولته وهجومه عليه قال له وهو يلين له الكلام يا ابن أبي طالب والله ما امرك الله ولا رسوله ولا نطق بذلك القرآن عمد إلى المسجد فأحرقته وهدمته والآن عاد خرابا وعمدت إلى الشيخ فقطعت يده ورجليه من غير ذنب ولا جناية سبقت منه إليك ثم عمدت إلى صببية من حسن الناس وجها فرجمتها حتى ماتت وهي كانت تصلح لمثلك والله لا نصرت وهذه الفعال فعالك فتبسم الامام وقال والله لولا أنني أريد ان أظهر لك بيان بما رايتة والا كنت عجلت بروحك ولا كذبت على وعارضتني لي فأهلكك وتدبر امرك وانظر إلى ما أنت له صانع وسيظهر لك يا ويلك اما رأيت وعانيت وان سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرك به فارجع عني واستغنم السلامة وأكرم الناس من إذا قد عفا وهذه الثانية صحبتي وعدت إلى الثالثة جازيتك بعلمك يا ويلك ألم أقل لك ما قاله العبد الصالح لموسى بن عمران انك لن تستطيع معي صبرا فقال يا أبا الحسن اعف عما قلت ولست أعود إلى ما تكرهه ودخل على الامام بمكروه وخداعه وهو يظن أن يظفر به فسمح له الامام بالمسير معه ولم يزالا فيه عين ماء كبيرة المياها وبجانبها حطرة واسعة وعلى بابها عبد عظيم الخلقة احمر العينين عريض المنكبين مفتول الساعدين فلما نظرهما قال للامام اعدلوا إلى هذا المنزل فقد ولى النهار واقبل الليل فقال الامام سر ولا تتعرض لما ليس لك به علم فقال ورقة والله ما بك خوف من هذا الأسود حيث رايتة يطيل النظر إليك فلما سمع الامام ذلك تغير وجهه وقال لورقة ويلك أمثلي يفزع من ابيض وأسود وانا من أهل العلم والتأويل والدلالة والتفصيل ثم عطف الامام ناحية العبد فلما رآه العبد مقبلا إليه ورحب به وفتح له باب الحظيرة فدخل الامام ودخل الأسود في

نحوهما وأغلق باب الحظيرة فلما وصل الامام وسط الحظيرة وإذا هو بجماجم مقطوعة وعظام مهشومة فوقف ينظر إلى ذلك ويتفكر ويتعجب وإذا هو بسبعين عظيمين قد خرجا من جانب الحظيرة وقصد أحد منهما إلى نحوي الامام والآخر إلى ورقة فالسبع الذي وصل ورقة هدر وزمجر فلما عاين ذلك قصد نحو الامام وهو يرتعد كالسعفة في مهب الريح واصطكت أسنانه واهترت ركبته من شدة ما نزل به من الخوف والفرع وهو ينادي برفيع أصواته أدر كني يا أبا الحسن خالفتك فهلكت فبالله عليك يا أبا الحسن خلصني مما انا فيه ولا تؤاخذني بسوء أفعالي

قالت من أهل الكرم والجلود فتبسم الامام ضاحكا من مقالته واما الامام فلم يعتن بالسبع الذي وصل إليه ولم يلتفت إلى مبتلة فلما قرب السبع من الامام صرخ صرخته المعروفة الهاشمية فتضعض السبع من شدتها ووقف مكانه وخمدت قوته من صوت الامام وجعل ينادي انا السيف المسلول انا ابن عم الرسول انا مفرق الكتائب انا مظهر العجائب انا الحسام القاضب حامل ذو الفقار انا البحر الساكب القاضب انا ليث بني غالب انا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم وثب على السبع بقوته وضربه ضربة عظيمة فمات ثم حمل على ورقة فوثب عليه ونادى انا الليث التمام انا البطل المقدم انا قاتل اللثام انا مفرج الزحام فعند ذلك فر السبع داخل البيت عندما نظر ما حل بأخيه وجعل العبد يحد النظر إلى الامام ويتعجب مما فعل فجرد صحيفة هندية وتقدم إلى السبع يحرضه وهو شدة غيظة على قتل أخيه فحرضه على الامام فغمد السبع إلى الامام وعمد الأسود إلى ورقة يريد قتله قبل قتل الامام فقال ورقة للأسود مهلا وقيت الردى وكفيت شر العد فإنني معين لك على امرك لعلي اقتله واخذ رأسه إلى الهضام لأنال المرتبة العليا والآن اختلطنا بعد الملك الهضام فان قتلناه فنكون لنا اليد العليا عند الملك الهضام وعند الاله الرفيع فعند ذلك فرح الأسود من مقاله ومال علي الامام وورقة معه وقال يا ابن أبي طالب إلى أين طالب فانظر إلى نفسك وتدبر امرك فلم يلتفت الامام وهجم على السلع وضربه ضربة

هاشمية بين عينيه فلما نظر الأسود ذلك اندهل وعلم أنه ان أقدم على الامام أرداه فرمى صفيحته من يده ونادى يا ابن أبي طالب ارفق على أسيرك وأحسن إلي فاني لم اعلم بك ولا بمكانك حتى سمعت ذكرك من رفيقك أحسن إلي يا أبا الحسن أحسن الله إليك فلما سمع ذلك منه الإمام قال اعتزل حتى افرغ من عدو الله وأعود إليك فيقضي الله بحكمه ما هو قاض ثم عمل على الامام إلى ورقة وقال يا رأس النفاق قد أظهرت يا عدو الله ما كنت له سائرا وما أنت عليه عازم وضامر فانظر الان لنفسك وتدبر امرك فقد آن أوان قتلك ثم نادى ورقة يا ابن أبي طالب سألتك بحق محمد ابن عمك الا ما أبقيت علي وأحسنتم بكرمك إلي فقال له بعد نفاقك وكفرك ما أبقي عليك هيهات هيهات فلما أيقن اللعين بالهلاك قال يا ابن أبي طالب الظلم لا يفارقك ولا يفارق ابن عمك فحدثني عما ظهر لك أنت في طريقك هذا

من سوء فعليك مما لا يرضاه الله ثم افعل ما بدا لك فاني اشهد انك أنت وابن عمك ظالمان ساحران فغضب الامام من مقاله ورقة غضبا شديدا وقال له يا عدو الله تبارك وتعالى قد باعد بيننا وبين الظلم والعدوان وجعلنا من أهل الكرم والاحسان ويل لك ولقومك فانا اكشف لك ولقومك جميع ما رايت في طريقنا اما الرجل الذي أقبلنا عليه وعنده الماء والطعام فإنه كان مسموما وانما صنعه للناس حيلة فإذا اكل أحد الطعام وشرب من الماء هلك لوقته فيأخذ ما كان معه وقد أهلك بهذه الحيلة خلقا كثيرا فلما اتته قتلتة عمن قتل من الناس وأهرقت الماء ودفنت الطعام لئلا يأكل منه الطير والوحوش فيهلكوا واما الشيخ الذي اتيناه بالمسجد وعنده الجارية فإنها بنته وهو ينكحها للصادر والوارد فإذا نزل عبد سالك طريق عرض عليه بنته فان اجابه إلى ذلك كان والا يتركه حتى ينام ويسرق منه جميع ما معه فلما قدمت عليه قطعت يديه

ورجليه لا جل سرقة ورجمت الجارية لزنائها حتى ماتت وأحرقت المسجد واما هذه الحظيرة وهذا الأسود وهذان السبعان فيقتل بهما جميع من اتى إليه في هذه الحظيرة ويأخذ ما كان معه ثم إن الامام تقدم إلى ورقة وضربه بذي الفقار على رأسه ففلقه نصفين ووصل

إلى الأرض وعجل الله روحه إلى النار فلما نظر الأسود إلى ذلك حار عقله ونادى يا ابن أبي طالب امدد يدك فاني اشهد ان لا اله الا الله ان ابن عمك محمد رسول الله واني كنت في لجج الضلالة سارج فلا زلت لك منذ هذا اليوم الا مواليا فعند ذلك تبسم الإمام علي كرم الله وجهه وقال له خذ سلب عدو الله وامض حيث شئت مصاحبا للإسلام فقال يا أمير المؤمنين اني لا أكون معك وبين يديك فقال له الامام هذا جبل بعيد لا يصل إليه كل ضامر سلول فقال الأسود هذا الوصف لا أجده الا لك يا ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم أنت زوج البتول وابن عم الرسول سيف الله

الرسول الا يا أمير المؤمنين سألتك بحق ابن عمك الا أخبرتني إلى أين تريد فقال له اني والله أريد الهضام بن الحجاج وصنمه المنيع وحصنه الرفيع لأذيقه السم الفقيع فقال الأسود وقد تحول سواد وجهه إلى الاصفرار لما سمع بذكر الهضام فقل له يا أمير المؤمنين لا تعرض نفسك للهلاك فطريق ما ذكرته غير سالك فكيف تصل إليه وبينك وبينه وسبعة قصور وفيها حصون وكلها مملوءة بالرجال والابطال لا يطير عليهم طائر الا منعه من الجواز حتى يستخيره ووصولك إلى صنمه أبعد من ذلك وان له جنة ونار ويدخل في جنته من اطاعه ويدخل في ناره من عصاه وانا أخشى عليك مما أعده من الأهوال فقال الامام امض أنت إلى حال سبيلك ومعى ربي تعالى ينصرني وهو معى أينما توجهت فهو حسبي ونعم الوكيل ثم قال له ما اسمك فقال له اسمي هولب فقال الامام اكنتم أمري ولا تبيح بسري وامض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدد اسلامك على يديه فقال هولب يا سيدي هذا الذي ضمرت

عليه (قال الراوي) فعند ذلك ودع أمير المؤمنين وسار إلى المدينة قاصدا النبي عليه السلام أمير المؤمنين ساير بلاد الهضام حتى ولى النهار واقبل الليل فبعد غروب الشمس صلى المغرب والعشاء ثم سافر طول ليلته حتى لاح الفجر فصلى الصبح ثم سار وطاب له السير وقرب الله البعيد وسهل عليه كل صعب شديد (قال الراوي) حدثنا أمير المؤمنين رضي الله عنه قال كنت أرى الجبال الشاهقة امامي فبينما انا أتفكر في الوصول إليها فما أدري بنفسى الا وانا قد وصلت إليها وعولت

عليها بحول الله وقوته ولا أدري بتعب ولا ألم كل ذلك بحول الله سبحانه وتعالى
وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنشد وجعل يقول شعرا
طاب المسير بنور الله إذ لمعا* وبان ضوء الفجر إذ طلعا
(قال الراوي) وسار الإمام علي رضي الله عنه يطوي المنازل ولا يعوج المناهل
إلى أن وصل إلى ارض اليمن جعل يكن بالنهار ويمشي بالليل إلى أطراف البلاد
وشرف على العمران حتى وصل إلى واد الظل وهو أول الأودية السبعة وهو
واد معشب اخضر نعمه عظيمة كثيرة النبات والأشجار والمياه والظل المديد
واختلاف الألوان وحسن الأطيوار إذا فيه رعاة معهم أغنام ثم نظر إلى صدر الوادي
فإذا هو بحصن حصين وهو يسمى حصن الوجيه وهو في صدر الوادي يلوح
كأنه

لؤلؤة له نور ساطع واشراق لا مع فلما نظر إليه الامام حمد الله تعالى وشكره وأثنى
عليه

على تيسير العسير الذي قرب إليه البعيد وسهل كل صعب شديد
(قال الراوي) ثم انه انحدر إلى ذلك الوادي وإذا عارضه
نهر ماء جار

يلوح صفاء بياضه والخيل والانعام والإبل وسائر المواشي مرعاه البر الاخر مما
يلي ديار القوم والرعاة مجتمعين ومعهم واحد بيده غابه يصفر بها وقد نظره القوم
ويرتجزون الاشعار فنزل الامام رضي الله عنه إلى جانب النهر وقد نظره القوم فلم
يخاطبهم ثم انه حل منطقه وتوضأ وصلى فلما رآه القوم يصلي بهتوا إليه ولم يدروا ما
هو صانع وقد دهشوا من ركوعه وسجوده وقيامه وعوده فقطعوا ما كانوا فيه من
لهوهم ولعبهم وقال بعضهم لبعض كان هذا من بعض كتب العرب فقال بعضهم انما
هو

جنة وقد أكثر القوم في الامام رضي الله عنه وهو مشغول بما هو فيه
(قال الراوي) فلما فرغ من صلاته مال متكئا إلى جحفته فقال بعض القوم من أين أنت
أيها الرجل فقال لهم من طين من حمأ مسنون خلقتني وقدرني الذي يقول للشئ كن
فيكون فقال لهم الراعي ألم أقل لكم انه مجنون قذفته جنية إلى هذا المكان فترك
الراعي قول أصحابه وقالوا يا هذا من أين أقبلت فقال له الامام من عند مولاي الذي
كفاني

بنعمته ونعمني بفضلته وكرمه فقال الراعي أفقير مولاك أم غني فقال الامام مولى الموالي

علمه بحالي يكفي عن سؤالي مالك المشرق والمغرب والبر والبحر والسهل والوعر والأرض والسماء عليه توكلت وبه استعين فقال الراعي صدقت وبالحق نطقت أقدم علينا أيها الرجل فالطريق امامك هذه الصفة صفة الهناء المنيع وهو في احسانه بديع ثم انهم سروا سرورا عظيما وفرحوا به فرحا شديدا وقالوا له يا فتى بلغت السلامة ومناك وأدركت هواك فان أحببت تأتي إلينا فدونك والجسر عن يمينك واجعل راحتك عندنا لتسر بنا ونسر بك فقال لهم الامام من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واني أرجو ان أكون على الطريق متبع النبي الناصح (قال الراوي) فاعرض الأعيان عنه لأنهم لم يفهموا كلامه وقالوا له ان كلامك تخليطا وفي لسانك تفريطا ان كلامنا لك ضايع فأعرضوا عنه ورجعوا إلى لعبهم ولهوهم وأقام الامام رضي الله عنه مكانه إلى أن وجب العصر فصلاه وإذا بالرعيان تصارخوا وتصايحوا فقال لهم الامام معاشر القوم ما صراخكم فقالوا ننظر إلى قطع الظبا منحدرًا من الجبل فلما نظر الامام إلى داره ووثب قائما على قدميه ثم نزع اطماره وسلاحه وقال لهم دونكم وحفظ أثوابي وسلاحي فقالوا وأين تريد فقال أريد هذه الظباء لعلني أنال ظبيا فلم يبق أحدا منهم الا وقد ضحك من قوله واستهزأ عليه ثم قال بعضهم لبعض ألم أقل لكم ان الرجل هائم على وجهه مخبوط في عقله ثم تركهم الامام ومضى وهم ينظرون إليه ويظنون انه لا يبرح من مكانه لعظم خلقته وكبر بطنه ثم إن الامام قام حتى توارى عن أعين الرعاة وقد قطع الشعاب وهو يشب من ربوة إلى ربوة ومن شجرة إلى شجرة ثم ادركها وهي في شدة جريها فقبض على اثنين منها واحدة بيمينه وأخرى بيساره واقبل كأنه الريح الهبوب والظباء في يديه فلما رأى الدعاة الظباء في يديه كبر الامام في أعينهم ولم يزل الامام ساير حتى اتى سلبه واستخرج سكينًا وذبحهما وسلخهما وأجاد غسلهما ثم حفر حفرة والتفت يمينا وشمالا يطلب حطبا فلم يجد شيئا من ذلك الحطب ورمى في الحفرة حتى ملأها ثم قدح زناد وخرج نارا أضرمها في ذلك الحطب فتأججت صار جمرا فكشف الجمر عن الحصى واخذ الظبيين ورماهما في الحفرة وردم عليهما النار من فوقهما هذا والرعاة

ينظرون إليه ويتعجبون من فعله وهابوا ان يتقدموا إليه وأمسكوا عن سؤاله فلما فرغ الامام مما أراد غسل يديه ولبس ثيابه وقعد ينظر غروب الشمس لأنه كان صائماً فقال الرعاة يا فتى نحن ضيوفك الليلة لتطعمنا مما اقتنصت من الضبا فقال الامام انما يضاف من يكون قاطنا بالديار فقالوا له سألتك بالهك الذي تعبد الا ما عرفنا باسمك الذي تعرف به لأننا رأينا منك ما لم نره من أحد من غيرك فقال لهم اسمي زيد وكانت أمه سمته زيدا وسماه أبوه حيدر وسماه النبي عليا لما امره الله ان يسميه بذلك الاسم الحسن فقالوا له يا فتى لقد أعطاك الله من الشجاعة ما لم يعطيه لاحد وبقي القوم يتحدثون فيما بينهم كذلك إذ وقعت صيحة من الوادي وتتابع الصياح فجعلت الرعاة تمرد أغنامها يرومون ان يجمعوها وأسرع بعضهم إلى بعض إلى أهل الحصن والامام ينظر إليهم وإذا بخيول مسرعة فظن الامام ان أهل الحصن فرحوا له فلم يكن من امره الا انه شد منطقه وقبض على جحفته فأقبلت الخيل أفواجا في الوادي وكانت أربعة آلاف حمية لأصحابهم ان يطرقهم طارق وفرت جميع الرعاة في جميع خبايا الوادي ليكون ويتصارخون فقالوا له يا فتى انما نبكي على أنفسنا لان سيدنا الأعظم الهضام إذا اخذ له مال رجع بالقيمة بمن كان قبلنا من الرعاة وقد رأيت ما دهمنا كثرة الخيل فقالوا ولو كان ملكنا الهضام والهه المنيع لما وصلوا إليهم هؤلاء الأقوام ولم يخلصوا الغنائم من أيديهم لأنهم قد عرفوا بالبلية وصاحبهم قد يتم العرب ولا تقتصر يده الاعن بلدة واحدة فقال الامام ما هذا البلد التي لا يضرب إليها فقالوا له مدينة بيثرب مسكن عبد الله بها فارس لا كالفرسان ويقال عنه انه مفرق الكتائب وهازم الجيوش ومفرق المواكب الجسام الغاضب والليث الغالب والبحر الساكب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال الراوي فلما سمع الامام هذا الكلام تبسم ضاحكا وقال أيها الراعي ما اسم هذا الرجل وما الذي يعبد وأين مسكنه فقد حدثتني بعجيب فقال يعرف بالمغضب واما معبوده فإنه

صنعه من الجزع اليماني وكانت العرب تأتي إليه والى صنمه ليخبرهم بجميع ما يسألونه عنه فلما كان يوم من الأيام والناس محدقون به ويسألونه وقد شكوا إلى ملكهم المغضب علي بن أبي طالب لما فعل بسادات العرب من القتل فقال لهم يا قومي تأخروا عني لا تقدم إلى الهي العظيم وأشاوره لكم في هذا الغلام وفي المسير إليه فتأخروا عنه، (قال الراوي) فعند ذلك تقوم الملك المغضب إلى إلهه وهو معتمد فيه واستشاره في حرب علي بن أبي طالب وقال الهي قد سمعت ما ذكرته العرب من خبر هذا الغلام وشجاعته وشكوا من فعالك وقد شكونا إلى واليك فهل لك ان تشير لنا ونسير إليه ويقاتله وأنت أخبر منا بذلك فمهما امرتنا به امتثلناه (قال الراوي) فلما فرغ من كلامه دخل الشيطان في جوف الصنم ونهى المغضب عن ذلك وهو يظن أن الكلام من الصنم ثم تململ وارتجز وانشد يقول دع ما قصدت من ارتكاب مهالك * ومكاره مقرونة ببلاء لا تطلبن لقاء علي انه * وحش الفلاة كذا لسفك دماء

قال الراوي) فلما سمع المغضب والعرب كلام الصنم حزنوا من كلامه فخاف الملك وخاف

العرب ورجعوا عن عبادته وقالوا إلهك يذل ولا ينصر فهو أولى بان يدك ويحرق فتفرقوا عنه فعند ذلك تسامعت العرب والقبائل بملكنا الهضام وصنمه المنيع الرفيع وقيامه على طول الأيام معلقا في الهواء فعطفت العرب جميعهم إليه ورأوا منه معجزات وكلمهم بالدليل ووعدهم بهلاك علي بن أبي طالب ودا ان يكفيهم مؤنته فانصرفت وجوههم إليه واقبلوا بجمعهم عليه فعظم ذلك على المغضب واستنجد العريان وبذل لهم الأموال فجرى بينه وبين صاحبنا الهضام حربا شديدا ما شهدت العربان مثله وأقاموا مدة من الشهور يقتلون حتى فنى أكثر الجماعات وافترقوا على ما هم عليه من العداوة والبغضاء وبقي كل واحد منهم يغير على صاحبه كما ترى وكانت العربان سعت بينهم الصلح على أنهم يجتمعون جميعا ويسيروا إلى علي بن أبي طالب ولم يكن قد انفصل بينهم امر فتبسم الإمام علي ضاحكا من قوله ثم أطرق برأسه إلى الأرض ساعة وهو متفكر في امر الحصون التي بينه وبين عدو الله الهضام فاجمع امره على ملاقة المغضب وقومه واقبل

على الراعي المخاطب له وقال إلى أين هؤلاء القوم سائرون فقال له يا فتى اما هو
فبيننا وبينه فرسخين في مضيق بين جبلين يجمعون السابحي المضيق ثم يقع
والشراء فيها ليأخذ كل واحد ما يخصه وينصرف إلى محل سبيله أو يقصد كل واحد
منهم مكانه ومحل نومه فقال الامام يا ويلكم فما منع صاحب هذا الحصن عن
لحاقهم فقالوا له يا فتى تجلى الهنا بالبركة ان في كل حصن الف رجل ولو اجتمع
كل من في الحصون لكان لكان هو كفتنا للجميع فلما سمع الامام ذلك الراعي
المخاطب

له اخذ سيفه ودرقته وحزم وسطه بمنطقته ثم اتى إلى جانب النهر الاخر وكان عرض
ذلك النهر أكثر من عشرين ذراعا ففزع الرعاة بما عاينوه وذهلت عقولهم خوفا
من الامام فقال لهم مهلا يا قوم ان ينالكم مني الأخير إن شاء الله تعالى فان
غبت عنكم حتى جن الليل فاخرجوا ما في الحفيرة وكاوه فأنتم أحق به من النار
فقالوا إلى أين تريد فقال لهم أريد ان الحق القوم فعسى ان أنال منهم خير فظن
الرعاة انه يطلب منهم رفا أو معاونة فقالوا له يا فتى ان وقعت عينهم عليك لم
يسمعوا كلامك دون ان يسفكوا دمك وهم أربعة آلاف فارس وملكهم المغضب
أعظم من الجميع وأكثرهم أذية ومع ذلك أن وهبوك شيئا اخذ منك فلا تعرض
نفسك للهلاك فقال لهم لامام لا صبر لي عن القوم لابد من اللحاق بهم فلم يكن
غير قليل حتى لحق بالقوم ونظر الخيل والأسنة تلمع فقصر الامام في مشيه حتى
دخل القوم في المضيق والسابعة معهم وليس لذلك المضيق منفذ غير هذا الذي
دخلوا منه بأجمعهم اتى الامام إلى فم المضيق وجلس تحت درقته جاثما من
وراء صخرة قابضا بيده على سيفه وهو يسمع حديث القوم في بيعهم وشرائهم وقد
غابت الشمس فصلى الامام المغرب في مكانه وقال اللهم ارزقني من عندك فطرا
حلالا طيبا ولم يزل القوم كذلك إلى أن دخل الليل وطلع القمر وامتألت
الأرض بنوره فبينما هو كذلك إذ سمع بعار غنم ورغاء إبل فإذا هو بشويها
وفرسين ومطيتين سرج وفارس معتقل برمحه ولامته فقال الامام يوشك ان هذا
قسم هذا الفارس فكن الامام إلى أن خرج الفارس وما معه من فم المضيق فلما قرب

الامام لم يمهل عليه وضربه فرفع على الأرض قطعتين فاخذ الامام جميع ما معه وتركه ورجع إلى مكانه فلم يكن الا هنيهات وقد اقبل على آخر على مثل وهو ينادي بصاحبه المعين قف حتى أجمع سهمي بسهمك ونسير جميعا فلم يرد عليه فما استم كلامه الا وقد وافاه الامام ولوى شماله إلى يمينه وقبض عليه ودق عنقه في الأرض وضم الجواد إلى الجواد والماشية وجر الرجل الأول من الطريق إلى خارج المضيق وجر صاحبه إليه ورجع إلى مكانه فلم يستقر فإذا هو بصهيل خير ورعاة إبل وبعار غنم وثلاثة فوارس من وراء تلك الأغنام والإبل والخيل فتفكر الامام فيما يحتال به عليهم ساعة حتى خرجوا من المضيق فاسف الامام من خروجهم وخاف ان ينبههم قبل ان يفرغ منهم فتقدم الامام إلى أحدهم وضربه بالسيف على مرق بطنه فسقط إلى الأرض نصفين فالتفت إليه صاحباة فوثب الامام عند التفاتهما وضرب أحدهما فجندله وأراد الثالث فسبقه إلى داخل المضيق وهو صارخ مستغيث بأصحابه ويقول أدركوني فقد هلك أصحابكم وهلكتم جميعا فاطلبوا لأنفسكم الخلاص فقالوا بأجمعهم يا ويلك ما الذي دهاك فقال يا قوم انه باب المضيق موت نازل وهو لكل من خرج منكم قاتل فصاح به المغضب وقال يا ويلك وسأله عن حاله فأخبره بما رأى وعانين من أمير المؤمنين فقال له السيد رأيت من شجاعت مزعجات لا تكون لبشر قط ولكنه سماوي الفعال فصاح به اللعين وقال لعل ان يكون معه جيش كثير فقال يا مولاي ما معه غيره وهو أسعى على اقدامه إذا وثب جاوز الفرس بالوثبة وينخلع الرأس من الرقبة فصاح به المغضب وقال لا أم لك لعله يكون من بعض عمار هذا المكان ثم التفت إلى رجلين من قومه عرفوا بالشدة والقوة والمراس فقال لهما المغضب انظر إلى ما يقول الجبان فنهض على أقدامهما وركبا خيولهما وسلا سيوفهما إلى أن قرب من باب المضيق فصارخا من الطارق لنا في هذا الليل الغاسق المعترض لنا فان كنت من الجن فنحن من مردة الجن وان كنت من الانس فنحن من عتاة الانس فمن أنت يا ويلك انطلق قبل ان نرمىك بالعطب ونحلك بالويل والغضب هذا

والامام ساكت لم يرد عليهما جوابا وهما على وجل الامام قد لصق بالأرض إلى أن
وصلا إليه وحاذياه بفرسيهما فوثب إليهما كالأسد وقبض بيده على رجلين من
الفرسين فاندفق الفرس مثاني واندق صاحبه وسلط الأول على أم رأسه فانشج شجة
عظيمة من حيث خرج من المضيق صارخا مستغيثا بقومه فبادروا إليه وقالوا له
ما ورائك قال ورائي البحر المغرق والموت المفروق فقالوا صف لنا ما رأيت قال فاني
رأيت ما لا يقدر القارئ على وصفه فقالوا ما هو لا أم لك فقال هل رأيتم رجلا
يحمل فرسا براكبه، قالوا لا قال هذا الرجل لحمل فرسا براكبه ثم صدم به الآخر
فدق الفرس وراكبه فلما سمع القوم ذلك ذهلوا وثاروا قالوا كيف يكون ذلك
وكيف يتفق ان رجلا يفعل هذا الفعل فقال هاهو بباب المضيق فمن أراد ان يعلم
الامر بالتحقيق فهذا بباب المضيق فينظر إلى ما نظرت من التصديق فلما فرغ من قوله
حتى وثب المغضب بنفسه وصاح عليه وضربه بسيفه فقتله وقال له قبحتك اللاتي
والعزى تبا بك ولمن ذكرت من الرجال هذا من لا يخاف سطوتي ثم قال احتفظوا
على أنفسكم حتى أعود إليكم فقال له قومه أيها الملك معك أربعة آلاف فارس من
صناديد العرب والسادات وتقدم أنت بنفسك دونهم ونحن نعلم أن فيك الكفاءة
لأهل الأرض في الطول والعرض ولكن تخشى عليه ان يكون هذا من عمار الجان
أو من الجن الأشرار فنخاف عليك من طوارقهم فقال لهم بحق اللاتي والعزى
لا بد لي من الدنو إليه فان كان من الانس قتلته وان كان من الجن أبدته ثم انه حزم
وسطه وجرده سيفه وكان عدو الله عظيم الخلقة كبير الجثة شديد الهمة فتوجه
الا إلى الامام وهو يبربر كالأسد وينشد ويقول
أيها الطارق في ليل غسق وفاتكا فينا بسر قد سبق
اني انا المغضب اسمي قد سبق اقطع الهامات في يوم قد سبق
(قال الراوي) فلما سمع الامام قول المغضب علم أن كبير القوم ورئيسهم
فقال هذا والله بعيتي ومرادي اللهم سهل ساعته قال واقبل عدو الله منفردا

بنفسه حتى وصل إلى المضيق فنظر إلى القتلى وهم مجندلون فتحقق الامر وارتعدت
أوصاله وقال وحق اللاتي والعزى لقد صدق صاحبنا فيما قال وانما ظلمناه بقتلنا
إياه ثم انه وقف بباب المضيق وهو ذاهل العقل وقد سمعه الامام رضي الله عنه تعالى
عنه وهو يقول وحق اللاتي والعزى ما فعل هذه الفعال أحد الأمم السابق ولا قوم
عاد وثمود ولا يقدر على ذلك الا الغلام الذي يقال له علي بن أبي طالب فلما سمع
الامام مقالته تقدم إليه وهو على مهل فلما دنا منه ووصله إليه نظره عدو الله فتحير
فبينما هو كذلك إذ وثب إليه الامام وهجم عليه ولوح بحمامه وقال ويل لك ولآبائك
وأجدادك أنا المنعوت بهذه الفعال انا مبدي العجائب انا مظهر الغرائب انا البحر
الساكب انا علي بن أبي طالب (قال الراوي) فلما سمع عدو الله ما قاله الامام
علم أنه لا محالة فارتعدت فرائضه وأيقن بالهلاك فصرخ بأعلى صوته وقال يا قوم
أدركوني قبل ان أهلك فتهلكوا جميعا فلما سمع القوم صراخه أجابوه فلما نظر
الامام سرعة القوم هجم على عدو الله وقد أمسك جوارحه فلم يستطع فوافاه الامام
بضربة هاشمية علوية على صدره فمسحبه صدره وذراعيه فسقط عدو الله إلى الأرض
قطعتين وقالوا وحق اللاتي والعزى مالنا بقتال الجن من طاقة فقال رجل منهم اسكتوا
حتى أحاطبه فان كلمني عرفته أيش يكون ان كان انسيا أو جنيا ثم تقدم إلى ناحية
فم المضيق وقال أيها الشخص المريد أخبرنا بما تريد (قال الراوي) فلما سمع
الإمام علي رضي الله تعالى عنه ذلك أجابهم وقال أريد منكم كلمة النجاح والفوز
والصلاح

وهي ان تقولوا معي بأجمعكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمع القوم ذلك
قالوا

وحق اللاتي والعزى ما هذا الا جنني وقال بعضهم ما هذا الا بشر مثلكم آدمي
وما نرى من الرأي الا ان نكون في مكاننا حتى يصبح الصباح فينكشف لنا هذا الامر
فلما اجتمع رأيهم على ذلك تأخروا إلى ورائهم في داخل المضيق فلما رأى
الامام رضي الله عنه تأخروا وما هم عازموا عليه تقدم إلى عدو الله وجز رأسه ثم
قام فذبح كبشا من الغنم التي اخذها أولا وسلخه وأضرم نار وشواه
واكل حتى اكتفى وحمد الله وقام بين يدي الله تعالى راكعا
وساجد حتى طلع الفجر فصلى صلاة الصبح ثم تحزم واخذ سيفه

وحجفيه ونزل إلى فم الوادي فلما طلعت الشمس نظر إليه القوم بأعينهم وهو في فم المضيق يرمق إليهم كالذئب إذا عاين قطع غنم فقال بعضهم وحق اللاتي والعزى ما هو جني ولو كان جنيا لغاب عند انتشار الصباح وما هو الا منفرد بنفسه يريد ان يقتلنا ونحن أربعة آلاف فارس والصواب ان نتقدم إليه عشرة عشرة (قال الراوي) فتقدم للإمام عشرة من فرسانهم فلما وصلوا إليه حملوا عليه فقتل منهم سبعة وبقي ثلاثة فولوا منهزمين فقال لهم جنادة ابن عامر وكان قد تقدم عليهم بعد المغضب انطلقوا إليه عشرين فأتوا عليه وافترقوا العشرون فلم تكن الا ساعة حتى قتل منهم سبعة عشر وهزم الباقون فجعل الامام كلما قتل منهم رجلا يجره برجله حتى يخرج من

المضيق ليتسع له المكان وقد تزايد صيانة القوم وشاوروا بعضهم بعضا فاجمعوا على أن يحمل عليه مائة فارس فحملوا بأجمعهم كحملة رجل واحد ومقدمهم جنادة ابن عامر فصاح على الامام الا أخبرنا وما الذي تريد فقال لهم اصم أنتم لا تسمعون يا ويلكم أم عمي لا تبصرون ألم أقل لكم اني عبد الله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

انا مفرق الكتائب انا ليث بني غالب انا علي بن أبي طالب (قال الراوي) فلما سمع القوم بذكره خافوا ورجفت قلوبهم وقالوا يا فتى عجبنا من أن تكون هذه الفعال لغيرك والآن فأنت صاحب هذه العجائب فاعلمنا بما تريد ونحن معك على ما أنت عليه فقال لهم أريد منكم ان تقولوا بأجمعكم لا إله إلا الله محمد رسول الله وانا انصرف عنكم راضيا وفي الآخرة مستشفعا ولمن عاداكم معاديا قال فنظر بعضهم لبعض وهموا بالاسلام ولكن خشوا جنادة بن عامر المقدم عليهم فقال جنادة الذي ذكرته دونه بعيد ودونه ضرب شديد فلا نكون لك طائعين وانما نحن لك متقدمون ثم تقدم إليه جنادة وقال لعبده كن معي معينا على كتافه جردا أسياها وحملا على الامام رضي الله عنه فلما قربا منه رفع الامام درقته وصدم بها صدر جنادة فأدهشته الصدمة ثم على سراويله ومراق بطنه ورفع في الهواء والتفت إلى العبد وقد ولى هاربا فاخذ سيفه وقصده قال إلى أين يا ابن السوداء فأزعجه ثم بادره فضربه على رأسه فسقط على الأرض قطعتين (قال الراوي) فلما نظر القوم إلى ذلك تأخروا إلى ورائهم وقالوا لبعضهم

نحن نطاوله إلى أن يضجر وليس معه ماء ولا زاد فإذا انصرف عنا مضينا إلى حال سبيلنا فسمعهم الامام وعرف ما قد عزموا عليه فقال لهم يا ويلكم ان كنتم ما تم مطاولتي حتى انصرف عنكم فذاك امل بعيد وعشاي أغنام تقوم بي أياما كثيرة ولم يقطع الله رزقي ما دمت حيا وان فرغت هذه الأغنام يرسل الله إلي الطير فأرميه بالنيال فاكل لحمه واشتق بالريح فيغنييني عن الماء وانا أظهر لكم بيان ذلك فاخذ نيله ووضعها في قوس ورمى بها طيرا طائرا فوق وقع إلى الأرض طريحا فأخذه وذبحه وأزال ريشه وشواه واكله فلما رأوا منه ذلك تيقنوا ان لا طاقة لهم به فألقوا أسلحتهم أجمعين واستسلموا إلى أمير المؤمنين ونادوا بأجمعهم الأمان الأمان يا ابن أبي طالب ابق علينا وأحسن بكرمك إلينا فقال لهم ان كنتم صدقتم في قولكم فليكتف بعضهم بعضا حتى انظر حقيقة امركم قال فاقبل القوم يكتف بعضهم بعضا حتى أوثقوا أنفسهم جميعا

(قال الراوي) فعند ذلك تقدم الامام رضي الله عنه وقال لهم لكم واحدة من اثنين اما ان تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله واما ان تموتون فاسلم مع الامام من القوم الف رجل وأبو عن الاسلام سبعمائة رجل وقالوا القتل أحب إلينا فقال الذين أسلموا نحن نشهد ان لا الله الا الله وأن محمدا رسول الله وقالوا له يا امام لولا أن

إلهك اله عظيم قدير لما فعلت ذلك بنا واما الان فقد رضينا الهنا. فقال لهم الامام لا يصلح اسلامكم عندي حتى تضعوا السيف في أصحابكم الذين أبوا عن الاسلام فوضعوا السيف فيهم إلى أن قتلوهم عن اخرهم فجمع الامام الأموال بعضها وحازها واقبل عليه القوم الذين أسلموا معه وقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلنا معك نعينك على أعدائك فقال لهم الامام دعوني في

شغلي وسيروا إلى منازلكم ادعو من بقي منكم إلى الاسلام فقالوا له سمعا وطاعة ولو امرتنا ان نطلب الهضام لما يكبر علينا في رضاء الله ورسوله ورضاك فقال لهم الامام رضي الله تعالى عنه انا له طالب وسترون من نصر الله ما يسركم فقالوا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وهذه الغنائم ما تصنع بها فقال اني سائر بها إلى ما شاء الله

يفعل فيها فقالوا له افعل ما تريد فما منا معترض لك فقال الامام رضي

الله عنه أريد منكم رجال يساعدوني على سوقها فما استتم كلامه حتى برز له خمسة رجال من شجعانهم وقالوا يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن غلمانك وخدامك

ومهما امرتنا به امتثلناه وتقدموا إلى تلك الغنائم فساقوها بين يدي الامام رضي الله تعالى عنه وهو سائر مسرور بما فتح الله على يديه ولم يزالوا سائرين إلى أن دخلوا وادي الظل الذي فيه الرعاة فعرفوا الامام رضي الله عنه ونظروا سائقة الغنم الخمس رجال ورأس عدو الله المغضب مع الامام فلما تأملوا ذلك فرحوا فرحا شديدا وكانت الرجال لما اخذت مواشيهم كبرت بليتهم خوفا على أنفسهم من أصحابها وأيقنوا بالقتال وقال اهربوا وقال بعضهم كيف نهرب ونترك أهلنا وقال بعضهم على رسلكم حتى ننظر امر صاحبنا ولقد رأينا منه شجاعة عظيمة اما رأيتم كيف قفز وعدي النهر بوثة واحدة إلينا وقال بعضهم يا ويلكم تتوهمون الأباطيل من الأمانى وتظنون ان رجلا واحدا يصل إلى أربعة آلاف فارس شجاع عوابس لم يزل معموم على ذلك منقلبون إلى أن ذهب

النهار فباتوا قلقين بقية ليلتهم إلى أن برق ضياء الفجر وطلعت الشمس فبينما هم كذلك الرجاء والأمان إذ طلع من بطن الوادي طالع فناهوه فإذا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والغنائم بين يديه والخمس رجال يسوقونها معه فلما رأى القوم ذلك بهتوا وقالوا انه ما خلصها من المغضب وقومه الا بعد قتال شديد وصاروا في هذا ومثله إلى أن قرب منهم الامام رضي الله عنه فلما وصل إليهم قام رجل من رجالها يقال له جنبل بن وكيع وقال انا أسأله لان اللسان يقصر عن وصف هذا الانسان الجليل المقدار ولولا أرادنا ما كان نزل عندنا ولو كرهنا لقتلنا عن آخرنا واخذ سلبننا ومواشينا ولكن لا بد ان أحاطبه وأجاوبه القاصد للمقصود فان خاطبني لا يخفى على ما عنده فقالوا له افعل ما بدا لك وما تريد (قال الراوي) فتقدم جنبل بن وكيع إلى الامام رضي الله عنه ورحب به وقال يا فتى الفتيان ان الذي بين يديك من الغنيمة هولك وأنت أحق به من غيرك لأننا يا مولانا تحت الرجاء لكرمك متطاولون ان مننت فلك ما أحسنت وان فعلت

غير ذلك فيحق ما فعلت لأننا يا مولانا لم نقم بشئ من واجبك ولم تكن لنا معرفة بك حتى عرفنا باسمك هاتف بالأمس وزجرنا زجرا شديدا وأخبرنا بك وباسمك وأعلمنا بأنك البطل الصبور زوج البتول وابن عم الرسول مفرق الكتاب ومظهر العجائب الحسام القاضب الأسد الطالب ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم إن جنبل بن وكيع أنشد يقول
أنت الذي بفعالك يضرب المثل * ومن قبالك يخشى السهل والجبل
أنت المنكس رأس القوم من فرع * بذى الفقار ونار الحرب تشتعل
من سالموك ففي عيش وفي رغد * ومن يعاديك مقضى دونه الأمل
فان عفوت فأهل العفو أنت * وان هلكت يا ضرغام يا بطل
الحق لاح بنا لما حللت بنا * وفي يديك رجاء الخوف والأمل
(قال الراوي) فلما سمع كلام جنبل بن وكيع تبسم الامام ضاحكا من قوله لأنه فصيح اللسان وقال له يا ويحك من ذلك علي اسمي فاعلمه جنبل بقول الهاتف وما كان من امره فعند ذلك نظر الامام إليهم فرأى أحوالهم قد مالت إلى الاصفرار من شدة ما أصابهم من الخوف من هيئة الامام رضي الله تعالى عنه فلما رأى الامام كرم الله وجهه منهم ذلك قال لهم أبشروا يا قوم بما يسركم فنحن باب السلامة ولنا الشفاعة في الناس يوم القيامة دونكم وسايقتكم وليأخذ كل واحد منكم ما كان يرعاه لسيدته وارجوه على مكانكم
فعند ذلك ردت ألوانهم إلى الاحمرار ونهض كل واحد منهم واخذ ما كان يرعاه لسيدته ثم قبلوا نحو الامام كرم الله وجهه وقالوا يا سيدنا الا تستعين بنا على أمورك وتستنهننا في حوائجك لنا جزيل على بعض وان كنا لا ندرك مداركك فصرفنا يا مولانا إلى أين تريد والى من تكيد فقال لهم الامام يا قوم اني أريد صاحبكم الملك الهضام الجحاف وصنمه المنيع الذي فتن به العباد فنظر القوم عند ذلك بعضهم لبعض وقالوا يا فتى من كانت هذه الفعال فعاله ما يبعد عليه ما يطلبه ولكن صاحب الهضام في جمع غفير وعسكر جسيم وحصون ما نعمه فدبر ذلك بحسن رأيك وها نحن معك فيما تريد ان استعنت بنا أعناك لما وليتنا من الاحسان والتكريم

الذي بدانا به (قال الراوي) فتبسم الامام رضي الله عنه ضاحكا من قولهم
وقال اني لا استعين الا بالله وبالمؤمنين قالوا له يا مولانا نفديك بالاباء والأمهات
أخبرنا عن ما هي كلمة الايمان قال هي كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
وهي ان تقولوا معي بأجمعكم لا الله الا الله محمد رسول الله قال جنبل بن ربيع
اما انا فأقولها غير متأخر عنها لما قد ظهر لي من الآيات والبراهين لولا أن
لك الها واحدا عظيما وهو على كل شئ قدير ما وصلت إلى ما وصلت وانا يا مولانا
اشهد ان لا الله الا الله وان ابن عمك محمدا رسول الله فلما نظر أصحابه إلى اسلامه
واسلموا جميعا وحسن اسلامهم كانوا واحدا وأربعين رجلا رعاة ففرح الامام بهم
وباسلامهم وقال لهم يا قوم لا يصح اسلامكم إلا بكف قناع الحق وبذل السيف
في أصحابكم فقالوا والله يا سيدنا لو امرتنا ان نقتل آبائنا وأولادنا في
رضاء الله ورسوله ورضاك لفعلنا ذلك فشكرهم الامام ودعا لهم وقال يا قوم هل عند
أهل الحصن علم بأخذ سائقكم قالوا نعم وقد سبق الخبر من حصن إلى حصن حتى
انتهى إلى الملك الهضام فأرسل لنا هجانين وأوعدنا بالعذاب وبعده القتال وقد
اغتاظ غيظا ومع ذلك فهو من بقية التباعية وان الملك المنتقم من جماعته وان له جثة
يخاف من مكره فلذلك أبعده وجعله في أول حصونه فلما سمع الامام منهم ذلك
الكلام تبسم ضاحكا وقال لهم إذا رجعتم سائقكم هذه إلى حصنكم ووصلتم إلى
صاحبكم فلا تكشفوا له عن خبري ولا عن اسمي فعسى ان يخرج إلي وان يقضي
الله ما هو قاض فقال جنبل يا سيدي ان خرج معه قومه وأصحابه وجميع عشائرتهم
وهم فرسان في القتال ونخاف ان يحول بينك وبينه حائل فتلومنا على ذلك فقال
لهم الامام ان الله فعال لما يريد فإذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون ثم أقام القوم
بقية يومهم إلى أن دخل المساء فرجعوا بالسابقة إلى حصنهم وكان أهلهم قد قطعوا
الصياح في جميع جهات الحصن بأن السابقة رجعت فجاء القوم ولم يعلموا ما كان
السبب في ذلك

فلما سمع القوم بذكر الخبر وكان المنتقم في هذا الوقت متكئا فاستوى جالسا وقال يا ويلكم ما هذا الامر العجيب فقالوا انه بلغنا عن الرعاة انه لما غار عليهم المغضب واخذ المال وساقه ومضى به كان عندهم رجل غريب عابر سبيل فما زال في اثر القوم حتى دخلوا المضيق فسد عليهم باب المضيق وما زال يقتل منهم واحدا بعد واحد حتى خرج إليه المغضب بنفسه فقتله وحز رأسه وجاء بها معه واتى بالمال العظيم معه وقتل منهم خلقا كثيرا واتى بسايقنا سالمة ودفعها إلى الرعاة بأجمعها

فلما سمع المنتقم هذا الكلام قهقهه بالضحك الشديد حتى كاد ان يقع على قفاه وقالوا كذبوا وسق اللاتي والعزى وحق الاله المنيع ولا أظن الا انهم هموا بأخذ السايقة فسد عليهم الطريق الالهة المنيع فلم يجدوا لهم منفذا ينفذون منه فرجعوا إلينا بهذه الحيلة ثم امر باحضار الرعاة فأحضرهم بين يديه وقال لهم باي حيل أردتم اخذ السايقة لأنفسكم وضربتم عنا الحيلة وحق المنيع ان لم تخبروني وتصدقوني الا قتلتمكم جميعا (قال الراوي) فعند ذلك نظر بعضهم إلى بعض وتناولوا إلى جنبل بن ركيع لأنه كان سر الجواب فقال اعلم أيها السيد العظيم ان من قطعت أنامله سرى الألم في جسده جميعه ومن حاد عن طريق الحق وقع في المضيق وما كنا نخرج من بلا دنا ونترك أولادنا والهنا المنيع فيرمينا في المهلاك والدواهي ويحرقنا بناره وليعلم الهنا المنيع حقيقة أمرنا والخافي سرنا فلا تكذبنا أيها السيد في قولنا فان الذي طرقتنا هو من عطفات المغضب الذي كان يطرقكم كل عام فلا بقيتم ترون له غراه ابدا ما دام الجديدان وبقي الزمان فقد قتله وقتل معه خلق كثير من قومه فقال يا ويلكم ومن فعل بهم هذا الفعال ومن ذا الذي قدر عليهم قال فعل بهم رجل غريب من العرب وانا أصفه لك كأنك تراه هو غلام

بطين تجلس الوحوش حواليه للمباشرة وحسن منظره ومنطقه بالصواب ويقلع الشجرة الراسخة الأزلية (قال الراوي) فلما سمع المنتقم وصف جنبل بن ركيع عظم ذلك عليه وصفه من شجاعة الامام رضي الله عنه ثم قال المنتقم ويحك يا جنبل وأين يكون هذا

الغلام قال هو قريب من بلادنا فلما سمع ذلك المنتقم صرح في قومه وعشيرته فاجتمع إليه القوم وحضروا بين يديه فقال يا قوم ان هذا الرجل الذي رد سائقكم وقتل عدوكم قد انتهى من خيرة ما لم يسمع والطاعة يا أيها السيد نحن لكلامك مطيعون ثم تواعدوا بالخروج إليه في غد وكانت تلك الليلة التي قدم فيها الرجال فلما تكامل

القوم خرج خلفهم المنتقم وهو مشتهر بلبس الأحمر والأصفر فركب جواد من عناق الخيل وقد لبس افخر ما عنده من لامة حربيه وخرج من حصنه بجميع قومه وسار المنتقم امام قومه وهو يرتجز وينشد

ليس الهجوم على الرجال بعزة * يدعي شجاعا مهلكا بمناجل

بطل شجاع نازل بفنائنا * أوفى العدة نائل أو نازل

سيروا بنا نلق الغلام بجمعنا * لنراه حقا مثل قول القائل

(قال الراوي) فعند ما نظر جنبل إلى ما عزم القوم قال يا قوم اني أريد

ان أسبق القوم إلى الامام رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك ثم سار جنبل

وقد حاد عن الطريق وسار في بعض الشعاب إلى أن وصل إلى الامام فسلم عليه

فرد عليه السلام وقال له الامام ما وراءك يا جنبل فقال سيدي حفظك الله وانعم

عليك انظر إلى امامك وقد اتاك المنتقم بجميع قومه فقال الامام انه غنيمتي

ورب الكعبة ولكنه قد عظم عليك ما رأيت من الجيوش يا جنبل والذي بعث

ابن عمي رسولا وبالحق بشيرا ونذيرا لو خرج إلي ملككم بجميع جيوشه

لكنت ألقاه بمفردي فقال جنبل يا سيدي ان الهضام إذا ركب معه خمسمائة

الف عنان سوايك في النزال قومه خاصة غير ما يتبعهم من الرقيق والغلمان

والعبيد فكيف تلقاه ومعه هذا الجميع كله فقال له الامام والذي بعث ابن عمي

بالحق بشيرا ونذيرا انه إذا برز إلى الهضام أتلقاه وحدي ولو يكون معه

جميع من في الأرض من الطول والعرض فان ثقتي بربي جل وعز فقل وأوجز

فقال سيدي المنتقم لم يترك في الحصن رجل يرجى بل خرج بهم إليك والمنتقم بعد يمثلهم فانظر ماذا ترى وما تأمرني به انا وأصحابي فانا لكلامك سامعون فلما سمع الامام ذلك جازه خيرا ثم قال له بل الذي امركم به أيسر مما ذكرت وأقرب مما إليه أشرت فقال جنبل ما الذي تأمرني به قال الامام رضي الله عنه يا جنبل خذ أصحابك الذين أسلموا معك وادخلوا الحصن وأغلقوا الأبواب وأوثقوها من داخل ولا تدعوا أحدا يدخل عليكم وأنكروا امركم واتركوني انا وهذا الجيش وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ينصر الله من يشاء وهو على كل شئ قدير فلما سمع جنبل ذلك من الامام التجم عن الخطاب فقال يا سيدي نخاف ان يسمع بذلك الملك الهضام فيأتينا بجيوشه فقال له الامام يا جنبل ان لك نفسا وأجلا مقسوما فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (قال الراوي) فلما سمع جنبل من قول الإمام رضي الله تعالى عنه قال إن كان الامر كما ذكر فوالله لأمتثلن لما امرتني به ثم قال جنبل لا تباعه ان كنتم آمنتم بالله ورسوله واتبعتم وليه فأطيعوه واسمعوا قول الإمام من الخلود في جنات النعيم وهانت عليهم أرواحهم في مرضات ربهم وقالوا يا جنبل ما الذي تريد ان تصنع فقال جنبل ادخلوا الحصن على بركة الله ورسوله واغلقوا بابه وأوثقوه وتحصنوا فيه ولو دهمكم الملك الهضام بجيوشه وعساكره ما وصل إليكم لأنه حصن منيع الطعام والماء فان طال بكم الحصار تنالوا منه وان حدث في هذا الغلام حادث فان ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم (قال الراوي)

فلما سمعوا مقالة جنبل وثبوا إليه وقالوا له أنت علينا مشير فسر بنا على ما تحب وتختار ثم إن جنبلا اخذهم وتقدم بهم إلى الحصن فلما وصلوا إلى باب الحصن وجدوا عليه جمعا كثيرا من النساء ينظرون أزواجهن وأولادهن وملكنهم المنتقم فلما وصل جنبل وصحابه إليهن جعلوا يفسحوهن على الباب لداخل الحصن فاستحيت النساء من ذلك وقالت يا ويلكم من عبيد ما أقل أدبكم وما الذي نزل بكم حتى تفعلوا ذلك فقالوا يا ويلكن ألم تعلمن ان هذا الغلام

الذي نزل بكن ودهمكن في أزواجكن وأولادكن هو العذاب الواقع والسم
النافع ابن عم الرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد اتى إليكم بجيش وقد
كمنوا في الشعاب وقد نزل إلى سيدكم المنتقم بجيشه وقد
كمنوا في الشعاب وقد نزل إلى سيدكم المنتقم بجيشه وقد أمرنا بحفظ الحصن
وما فيه والحماية عنه فمن كان عندها سلاح فتاتنا به وأجمعوا الجنادل والأحجار
(قال الراوي) فلما سمع النساء ذلك بادرن إلى أماكنهن وأتين بجميع
الأسلحة ثم اقبل جنبل على أصحابه وقال يا قوم اني أخاف ان يضرب الشيوخ
علينا الحيلة ويمكروا بنا فقال أصحابه وما الذي ترى الرأي عندي ان تمضوا
إليهم وتقتلوهم فلا حاجة لنا بهم (قال الراوي) فمضى العبيد وقتلوا الشيوخ عن
آخرهم قال فلما رأت النساء ذلك تصارخن فقال جنبل لأصحابه أو ثقوهن كتافا
واطرحوهن في بعض زوايا الحصن ففعلوا وطابت خواطرهن ووقفوا على أعلى
الصور وأشهروا سيوفهم ونصبوا الاعلام وفرقهم جنبل في جوانب الحصن فهذا
ما كان من امر جنبل وقومه واما ما كان من خبر عدو الله المنتقم فإنه
قد سار بقومه حتى أشرف على أمير المؤمنين الذي لم يكبر عليه عظم كثرتهم بل إنه
أظهر ميله إلى الحرب وكان على شاطئ النهر مما يلي حصنهم وديارهم فوثب
قبل وصولهم إليه وثبة عبر بها إلى الجانب الاخر واقبل إلى الجسر وتأمله فإذا هو
من الخشب مركب على أعمدة فضرب بيده على ما يليه من الأخشاب فقلعها
من موضعها وأزالها من مكانها وكان عليه كثير من التراب فنهال جميع ذلك
في النهر وذهب به الماء وانقطع الجسر وعاد وعاد الامام مكانه وصار متكئا على
جحفته غير مكترث ولم يزل الامام جالسا مكانه إذ أشرف عليه القوم وما
زالوا سائرين إلى أن وصلوا إليه فنظروا إلى النهر رأوه وقد قطعه الامام وحده
فعظم عليهم ذلك وتعجبوا منه وقالوا وحق زجرات المنيع ما يفعل هذا رجل
واحد ثم أنشد يقول
يا أيها الرجل الجميل فعاله نعم المعارك قد فعلت صنيعا
لك عندنا مال واحمال جزا اني لأمرك في الأمور مطيعا
(قال الراوي) فلما سمعه الامام بادر بالغضب ووثب وثبة الأسد وتجرد من

اطماره ثم جرد سيفه واخذ جحفته وعدو الله باهت لا يدري ما هو عازم عليه ثم تقدم الامام إلى شاطئ النهر بوثة واحدة واجتمع وانفرد من الأرض قعد النهر بوثبه وهجم على عدو الله وقال له أنت عدوي وانا عدوك وأنت طلبي وانا طلبتك يا ويلك أفق من رقدتك انا العذاب الواقع انا الأسد الزؤر والوحش الجسور وزوج البتول وابن عم الرسول ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بني غالب علي ابن أبي طالب (قال الراوي) فمال إليه الفرسان من كل جانب ومكان ولما سمع المنتقم مقالته وعلم أنه علي بن أبي طالب ارتعدت فرائصه وصرخ بصوت قوي وقال لقومه يا ويلكم أدركوني من قبل ان تفقدوني من بينكم فهذا الغلام الذي خرجت بكم إليه وقدمت بكم عليه هو علي بن أبي طالب فمالت الفرسان ووثب إليه الامام وضربة ضربة بسيفه عرضا فأرمى عدو بنفسه إلى الأرض ونادى يا ابن أبي طالب ليس العجلة من شأنك فرمى الامام السيف عنه وقال يا عدو الله وعدو نفسك قل ما أنت قائله فعند ذلك حمل عليه القوم حملة واحدة قوية وهجموا بكثرتهم ودهموا بجمعهم ثم قام عدو الله وحمل على الامام وقد قوي عليه قلبه وشد عزمه بانجاد قومه له وقال يا ابن أبي طالب هذا ما جنيته لنفسك وان لم ترد سائقتنا اكراما منك إلى إلينا بل أردت الخديعة والدخول حصننا والذي أملته بعيد يا ابن أبي طالب يا عدو المنيع وعدو الالهة الهضام فما بقي محمد ابن عمك ينظر إلى طلعتك

فان الحياة عادت حراما عليك بعد هذا اليوم فقال الامام كذبت يا ملعون ولا أزول عنكم حتى أذيقكم كأس الموت والحمام وانا الأسد الضرغام والبطل المقدم ممزق الكتائب ومظهر العجائب ليث بني غالب علي بن أبي طالب فلما سمع المنتقم ذلك ثار من الغيظ وقال لقومه احملاوا عليه بكثرتكم وميلوا عليه بكليتكم ثم صرخ جديعة بن كثير وكان غلاما كثير الجسارة وفارسا مشهورا فحمل عليه الامام ولم يمهل حتى ضربه عرضا فرمى رأسه مع رقبته فلما نظر القوم ذلك حاروا ودهشوا من فعاله وهابوا ان يتقدموا إلى ورائهم وهم ينادون إلى أين يا ابن أبي طالب لنذيقك اليوم المعاطب وظنوا انهم قادرون على الامام (قال الراوي) فصرخ

فيهم الامام صرخة الغيظ المشهورة في القتال ثم حمل فيهم وصاح إلى يا أولاد اللئام وحق رب الكعبة لا أزول عنكم حتى أبدد شملكم ثم حمل عليهم الامام ووضع درقته في صدر القوم وانشد يقول
انا الخطاب والجزار ادعي * أمير المؤمنين فهل معاني
انا قرم الهياج الهاشمي * هدمت لخير بدء الزمان
أفيض على الأرامل بالعطايا * وأكرم جيرتي في كل آن
وهل نار الحروب سوى علي * فدونكم تروني بالعيان
(قال الراوي) فلما سمعوا ذلك نظر بعضهم إلى بعض والمنتقم مطرق لكلام الامام كاطراق الحصان لصلصلة اللجام فعند ذلك اقبل عليه قومه قالوا له أيها السيد ما الذي تأمرنا به قال لهم تتبعوني قلوبكم مملوءة من الحزن والوجل شقيتم من قوم تتبعون الشعار وقد جللکم فما تم كلامه حتى برز إلى الامام من القوم غلام رشيق ويده عتيق وهو على مضر من الخيل العتاق فتقدم إلى المنتقم وقال أيها السيد وحق المنيع لا تيك برأسه سريع فقال المنتقم أبرز إليه فلك كل المكارم فلما خرج الغلام من بين القوم قال الامام ظهر لي شجاعته فأحببت ان يكون مثله الله ورسوله فنادته يا غلام أرى سيدك قدمك للمهالك فارجع فاني لك ناصح فلما سمع الغلام كلام الامام تبسم ضاحكا وقال انا ما نزعج من الامن نار المنيع فقال فعطف عليه الامام وضربه عرضا على صدره فخرج السيف من ظهره فسقط أبو الهراش (قال الراوي) فلما نظر المنتقم ذلك مشى إلى الامام له جسم كالبعير ونادى برفع صوته يا ابن أبي طالب ان البغي مسرعة الرجال وسهام الابطال ومن زها بنفسه وعجب بشجاعته أوردته ذلك موارد العطب ومن سل سيفه ظلما قتل به رغما (قال الراوي) ثم إن الامام حمل على عدو الله وحمل الآخر كذلك وتقارنا وتجاربا وشهد القوم منهم مشهدا عظيما ما روى الرواة مثله قال الامام فوجدت عدو الله صبور على الضرب جسور على الطلب ثم إن الامام جمع نفسه وقد كثر بينهم العراك والقلق وقد احمرت الحق فعلم الإمام من عدو الله التفصير وقد أشرف على الهلاك فنادى

ابن أبي طالب وقال للمنتقم ارفق قليلا ارفق قليلا حتى أحاطبك بكلام فيه المصلحة فتأخر

عنه الامام وقد طمع في اسلامه وقال في نفسه والله اشتهيت ان يكون مثل هذا الأسد الأروع في الاسلام ثم تأخر عنه وقال له قل ما تشاء فقال ابن أبي طالب انا قد رحمتك لحسن فعالك ورأيت أن اعفوا عنك وأطلق لك السبيل لأنني علمت أنك قد أشرفت على الهلاك فانا ابعث إليك بفرس ومطية وأزودك الماء والزاد وأهب لك من الأمور ما يكفيك وترجع ابن عمك سالما غانما وانا اشهد لك بين القبائل والعربان بالشجاعة والبراعة ثم حمل الامام مع كلامه وقال يا ويلك أشرب لنفسك وأهلك وأولادك وجميع قومك ان يقولوا لا الله الا الله محمد رسول الله ثم حمل

الامام وطلب انجاز الوعد فنظر عدو الله الامام وقد عزم على قتله وصمم بعد أن ارتعدت فرائضه وصار يرتعد كالسعفة في الريح البارد فنأدى وقال يا ابن أبي طالب الصدق أوفي سبيل فبالله أبقني فان لي في القوم مالا وأهلا وأولاد فان ملت إليك يقطعها بيني وبين أهلي وأولادي وجمع مالي فحلى سبيل حتى أحاطب قومي فان أجابوا إلى ما أريد كان الرأي الحسن وان خالفوني دبرت أمري وخالفتهم وفارقتهم فقال له الامام افعل ما بدا لك وأنت بين الجنة والنار فامض إلى أيهما شئت وطمع الامام في اسلامه فحلى سبيله فرجع المنتقم إلى قومه وقد تععضت أركانها وخدمت

نيرانه فقالوا له أيها السيد الكريم ما فعلت بهذا الغلام فقال المنتقم وسطوة المنيع لقد نازلت الابطال فما رأيت غلاما اصبر من هذا على القتال فما رأى في امره وما تفعلون فقالوا نحن معك فالذي ترضاه لنفسك رضينا له والذي يأمرنا به فعلناه فقال يا قوم ان هذا الغلام يريد منا ان نرفض عبادة المنيع الاله الرقيق ونعبد إلهه ونشهد لا بن عمه بالنبوة ونكون معيرة العرب في المحاصل قالوا وما نرى جوابنا الا اننا نمهله ببقية يومنا هذا إلى أن يتسبل الظلام فنسير إلى حصننا ونتحصن فيه من داخله ونوفق أقفاله فلا يستطيع الوصول إلينا ونرسل رسولا إلى الملك الهضام فيأتيا بجنوده وعساكره وأهله كل حصن يمدوننا بالنصر على عدونا فقالوا جميعا أفلح الله رايتك

أيها السيد هذا هو الرأي السديد فاتفق رأيهم على ذلك ثم قالوا دبر هذا الامر بعقلك انه

لا يصلح الا لمبارزة كسرى وقيصر (قال الراوي) فلما اختلط الظلام نظر الامام إلى جهة القوم وإذا هو برجل خارج من جيش المنتقم مسرعا إلى جهة الحصن فظن أنه رسول فلصق حذق وتأمل فإذا هو باخر قد خرج من ورائه واخر في اثره وهم ينسلون واحدا بعد واحد هربا الحصن فلما رأى ذلك الامام علم أنهم عزموا على الهروب من الحصن فاخذ سيفه وجحفته وجعل يزحف على بطنه كالحية على وجه الأرض إلى أن وصل إلى جانب النهر وجمع نفسه ووثب فعندي النهر ولم يعد عليهم بل عدل عنهم أسرع إلى جهة الحصن يريد الوصول إليه قبل ان يصل إليه أحد منهم فما زال الامام يسرع في سيره فلم يكن الا أقل من ساعة حتى وصل إلى الحصن ولم يصل إليه أحد قبله فنظر إلى أعلاه فرأى العبيد على أعلى السور وقد رفضوا الرقاد وأداموا على السهر بكليتهم وقد جعلوا العذار في مرضاة الملك فلما نظر أسرع جماعة منهم وهموا ان يرموه بالأحجار فنادى الامام لا ترموا بأحجار وافتحوا إلي الباب شكر الله سعيكم وأمنكم من عدوكم فعرف القوم صوته ففتحو له الباب وفرحوا به فرحا شديدا وكانوا قد آسوا منه وقالوا يا سيدنا أفلقنا بابطائك وكثر خوفنا عليك ونوينا ان القتال إلى أن نقتل عن آخرنا في مرضاة ربنا فجزاهم الامام خيرا ثم قالوا فما كان خبرك حتى أبطأت علينا فقال ما يكون الا الخير والسلامة وفي هذه الليلة إن شاء الله يظهر لكم تمام الكرامة ثم قال لهم الامام اخرجوا بأجمعكم خارج الباب ولا تمنعوا أحدا من الدخول وانا أبلغكم منكم المأمول فقال جنبل بن ركيع يا سيدي وما الذي عزمت عليه قال إن اضرب أرقابهم فذهل القوم من كلام الامام وخرجوا بأجمعهم إلى خارج الحصن فلم تكن الا ساعة وإذا بالقوم مقبلين وفي أوائلهم ذؤيب بن ياسر الباهلي فقال له جنبل ما وراءك يا ذؤيب فقال لا تسألني عن الموت الفاصل ثم هم ودخل في الحصن والامام يسمع كلامه ثم ضربه ضربة قسمه نصفين ثم سكت وأخفى حسه فبينما هو كذلك إذ دخل اخر فقاربه الامام وضربه ففلق رأسه عن جسمه (قال الراوي) فبينما هو كذلك إذ دخل آخر فقاربه الامام وضربه فأزال رأسه عن

جثته وإذا بضجة عظيمة فتأملهم وإذا هو بعد والله المنتقم راكبا على بعيره وحوله غلمانة وشجعانه وقد أحاطوا به من كل جانب فلما وصلوا إلى باب الحصن أناخوا البعير ثم حملوا عدو الله وأنزلوه فتقدم إلى باب الحصن يريد الدخول فوقف والتفت إلى أصحابه وقال لهم يا ويلكم الزموا باب حصنكم إلى أن تتكامل أصحابكم وادخلوا الحصن وأغلقوا بابه وتحصنوا ثم إن عدو الله تركهم على الباب ودخل الحصن

ومعه رجل من جماهير قومه فرفع جنبل صوته يسمع الامام وقال يا مولاي يبلغك الاله مأمولك وأعطاك سؤالك لقد أبردت بعقلك قلبي وسررت خاطري فعند ذلك فهم الامام إشارة جنبل وكان للحصن بابان من داخل بعضهما فوقف الامام رضي عنه عند الباب الثاني من اطماره حتى بقي في سرواله واخذ سيفه وجحفته ثم اقبل على عدو الله المنتقم وحواليه السيوف مسلولة وهو في وسط القوم كعلو الفارس على الراجل

فلما وصل إلى الامام وثب عليهم وصاح صيحته المعروفة الهاشمية وقال إلى أين يا لئام إلى أين المفر من ابن عم خير البشر فلما سمع القوم ذلك ولوا هارين يميناً وشمالاً وصار عدوا لله وحده واقفا باهتا لا يدري ما يصنع فنادى يا ابن أبي طالب أحسن إلي وأبقي بكرمك علي فقال الامام أتخدعني يا عدو الله والله ان لم تقر بالوحدانية ولمحمد ابن عمي بالرسالة إلا قتلتك أشر قتلة فقال له ابن أبي طالب بحق ابن عمك محمد الا أبقيت علي فعند ذلك اخذ الامام عمامته بعد أن ألقاه على الأرض وكبه على وجهه وأوثق كتافه وجمع يديه إلى رجليه وتركه لا يستطيع ان يتحرك وعمد إلى القوم فقال لهم قولوا نشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا بأجمعهم نشهد ان لا إله إلا الله

وان بن عمك محمدا رسول الله فقال لهم الامام رضي الله عنه ما يتحقق عندي اسلامكم فقالوا له يا ابن عم رسول الله هذا حقيقة إسلامنا قال نعم (قال الراوي) فعند ذلك جردوا سيوفهم وعمدوا مع الامام إلى الباب الذين هم داخله ففتحوه فوجدوا القوم قد دخلوا كلهم من الباب الأول واجتمعوا عند ذلك الباب الذي من داخله أمير المؤمنين فخرجوا لهم وحطموا السيف فيهم واقبل جنبل وقومه من

خلفهم وصاحوا فيهم الله أكبر فتح ونصر هذا والامام رضي الله عنه يقول أمر وهم ان يقولوا لا الله الا الله والا نفيكم عن آخركم فمن قالها ارفعوا عنه السيف ومن أبي فاقتلوه فما زالوا كذلك إلى مضي ثلث الليل فنادى القوم بأجمعهم الأمان يا ابن أبي طالب ونحن أسراك وفي يدك فقال لهم رضي الله عنه لن يؤمنكم من سيفي الا ان تقروا لله بالوحدانية ولمحمد الرسالة والا أفنيكم عن آخركم فصاحوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا إله إلا الله وان ابن عمك رسول الله فامر القوم ان يرفعوا عنهم السيف فما مضى نصف الليل الأول الا وقد كفاه الله القوم ولم يبق عندهم من يقاتل ابدا وأقبلت الرعاة وجنبل إلى الامام وقبلوا يديه وهنئوه بالسلامة وبما فتح الله عليه في تلك الليلة فحمدوا الله تعالى وأثنى عليه ثم خر ساجدا لله تعالى في وسط

الحصن شكر الله تعالى (قال الراوي) فلما فرغ الامام من سجوده ورفع رأسه واستوى قائما امر باحضار عدو الله المنتقم فاحضر بين يديه فامر بحل كتافه وقال يا عدو الله وعدو نفسك انك على شفا جرف هار اما إلى النار واما إلى الجنة يا ويلك أقر لله بالوحدانية ولمحمد بالرسالة تفز في الدنيا والآخرة واصرف عنك المحال ودع عبادة الأصنام فقال المنتقم يا ابن أبي طالب اجعل لك حملا أرسله إليك والى ابن عمك في كل عام من جميع ما تختاره من الصنوف المثمينة من الجواهر والذهب الأحمر وما أشبه ذلك فقال له الامام يا ويلك اما مالك وما قومك وما ملكك إن شاء الله

تعالى أحمله كله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أقتلك واكسر صنمك وأنت والله ما

يخلصك من سيفي الا قول لا الله الا الله محمد رسول الله فقال يا ابن أبي طالب اما هذه

الكلمة لا أقولها ابدا وان عجلت قتلي فلي من يأخذ الثار وها هو المسمى بالخطاف هندي الحميري يقتص الوحوش في فلواتها والأسود في غاباتها فلما سمع الامام ذلك من

عدو الله فار بالغضب وقال الذي أوصلنا إليك يوصلنا إلى غيرك واما أنت فقد عجل الله

بروحك إلى النار ثم قام الإمام علي على قدميه وضرب عدو الله المنتقم بذي الفقار فأزال

رأسه (قال الراوي) ثم الامام عليا رضي الله عنه امر باحضار النساء فأحضرت بين يديه فعرض عليهن الاسلام فمن أسلمت أقرها في مكانها ومن أبت وكل

(٤١)

بها من يقتلها فلما فرغ الامام من ذلك جمع الأموال وجمع ذلك كله في دار عدو الله المنتقم وقفل عليه وختمه وأوصى بحفظه ثم اقبل الامام على القوم وقال لهم ان الله سبحانه وتعالى قد دعاكم للاسلام ومن عليكم بالايمان وأنقذكم من ظلمات الكفر والطغيان واني ماض عنكم فالله في أنفسكم فلا تكفروا بعد ايمانكم ولا تنافقوا في اسلامكم امل الله الرجعة إليكم عن قريب إن شاء الله تعالى بعد بلوغ ما أريد من ملككم الزميم واصرف شره وشر صنمه وشيطانه الرجيم فقالوا جميعهم يا ابن عم الرسول انا لن نؤمن الا بحقيقة أمرنا وقد علم الله صدقنا وأراد لنا الحياة واطمأنت أنفسنا ونسير معك وبين فما يكبر علينا ان نقاتل بين يديك ملكنا وأهلنا فلما سمع الامام منهم ذلك سر بمقاتلتهم وعزل لهم مائة رجل يمكنون في الحصن وامر عليهم جنبل بن خليل الباهلي وأوصاه بالشفقة على من في الحصن ووصاهم بحفظ ما فيه وامر على الرعاة جنبل بن ركيح فقال جنبل يا أمير المؤمنين بالذي بعث بن عمك بالحق بشيرا ونذيرا لا تأخرني عن المسير معك لحرب قومي وقتال عشيرتي يطول دهرنا وزماننا ولا اتركه حتى يشفي غليل قلبي وما قدمت من ذنبي قد جزأه الامام خير على كلامه وقال له يا جنبل فان الله كريم لا يعجل على من عصاه ثم إن الامام دعا بعبد يقال له حصن بن شنبش وأمره على الرعاة وأوصاه بحفظ السائقة والأموال وأوصاه يروحها كل ليلة إلى داخل الحصن ثم سار الامام واخذ معه الثلاثمائة فارس طالبين حصن رامق ووادي الحديق وصاحبه الأمير عليه الخطاب بن هند

الحميري الملقب بمروع الوحوش فساروا وقد اخفى الله أمرهم وما جرى لهم فلم يعلم أحد من أهل الحصون والأودية واما الملك الهضام فقد اشتد كفره وطغيانه وتجبهره وقد شاع في العرب ذكره وعظم خطره وكان يركب كل سنة ثلاث مرات إلى صنمه فإذا دخل عليه خر له ساجدا من دون الله عز وجل فلا يرفع رأسه حتى يهتف الشيطان بصنمه ويأمره بالقيام (قال الراوي) فبينما عدو الله في تزايد كفره إذ ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جميل بن كثير العابد فاستأذن في الدخول على الملك قيل له اصبر حتى نخبر الملك بقدمك ثم إن الحاجب

أخبر الوزير بقدم ذلك القاصد فأخبر الملك بذلك فقال أيها الملك انه اتاك اليوم قاصد يذكر انه من عند محمد صاحب يثرب وابن عمه علي بن أبي طالب واستأذن في الدخول عليك والوصول إليك فأوقفه الحاجب وأخبرني بخبره وها انا أخبرتك (قال الراوي) فلما سمع الملك الهضام بذلك عظم عليه وقال أو قد ذكرني محمد مع ذكر وعرض لي مثل ما عرض لغيري أظن اني كغيري من العرب وان الهي كسائر الالهة ثم امر ببساط مجلسه فبسط وستوره علقته وبعث أكابر قومه فأقامهم حوله بالسلاح والنشاب وبأيديهم العمدة والحرب ولبس الملك تاجه الملع باليوافيت والجواهر وأظهر نعمته وأقام ترجمانه بين يديه لأجل ما يباع الكلام إلى القاصد ثم امر باحضار قاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين يديه فتبادرت غلمانه وحجابه إلى جميل من كثير فاتوا به أسرع من تكلم ثم دخلوا به إلى أن وقف بين يديه فلما نظر جميل إلى مملكته وسلطانه وحجابه وغلمانه وتاجه الذي على رأسه يواقيته والقوم محققون به التجم عن الكلام وتبلد عن السلام فغضب الملك لذلك وعرف الغضب في وجهه فاضطرب القوم لذلك وماج بعضهم ورفعوا العمدة والسيوف وتوقوا خطاب الملك لكي يبادرهم بسوء فنظر الترجمان إلى ذلك وكان صاحب عقل وأدب وفضل فقال للملك اعلم أيها الملك ان هيبه المملكة ومرتبة السلطنة تلجم الناظر عن الكلام عن مقالته في النظم حتى تدهشه عن السلام (قال الراوي) فذهب عن الملك ما كان قال به ثم قال الترجمان بجميل ان الملك يقول لك ويلك من أنت ومن أين أقبلت والى من قصدك ورسول من أنت قال جميل ابن كثير انا رسول صاحب يثرب محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب

وقد حملني هذا الكتاب وأرسلته إليك لا طلب الجواب ولا طلب شرا ولا ضرا وقد فتقدم إليه جميل وناوله الكتاب ففكه وقرأه وفهم مضمونه ومعناه وقهقه حتى كاد ان يقع على قفاه (قال الراوي) ثم التفت الهضام إلى جميل قال ويلك

صف لي هذا الغلام المذكور في الأرض فقال جميل أيها الملك ان التكفر أقبح بالعبد الدنيء فكيف بالسيد فان أحببت ان أصف لك فلي عليك شرطان أحدهما ان وصفته لك فلا يكبر على الملك فيقتلني بغير ذنب وأنت اغنى الناس عن ذلك والثاني أخاف ان أصفه لك شأنه العظيم فيباع غيره فأكون كذابا وانا الان أسألك أيها الملك ان لا تسألني عن هذا السؤال فاني لا قدرة لي عليه فقال الملك ان قلت ما فيه على الحق فلا خوف عليك ان كنت صادقا فقال جميل أيها الملك انه غلام موصوف بالشجاعة معروف بالبراعة أخف من البرق إذا لمع وأسرع من الفهد إذا وثب حسن اليقين (قال الراوي) فلما فرغ جميل من كلامه تبسم الهضام ضاحكا وقال وحق زاجرات المنيع لقد وصفت صاحبك وأحسنت في وصفه فدع عنك هذا الكلام واقتصر على وصف هذا الغلام واعمل في خلاص نفسك قبل حلولك في رمسك وقل لا ي شئ اتبعت محمدا وأمنت به فقال جميل على أن

ينقذني من النار ويدخلني الجنة التي هي دار القرار فقال الهضام ومتى يكون هذا الامر فقال جميل إذا قامت القيامة وقامت الخلائق من التراب إلى الاجتماع في دار الحساب فقال الهضام قد أخبركم صاحبكم محمد انكم تموتون وتصيرون رفاتا ويختلط

اللحم هذا باللحم والعظم هذا بالعظم وتمضي عليكم الدهور والأعوام ثم تعودون بأجساد وارواح ثم يكون بعد ذلك حساب وعقاب وجنة ونار فقال لهم نعم قال له والى أين

هذه النار وهذه الجنة قال شئ لا يفنى ولا ينقضي فعجل يا ويلك بالعاجل ودع الاجل (قال الراوي) ثم التفت اللعين إلى بعض أولاده وكان اسمه ناقد وقال له قم يا بني اكشف له عن الجنة والنار وخيره بين الدارين فاختر المقام في دار النعيم فدعه يأكل من فواكهها وثمارها ثم اخذ ناقدنا جميل وذهب به إلى الجنة وقد رأى جميع ما فيها ثم قال ناقد اتبعني حتى اكشف لك عن دار هي أحسن من هذه ثم أخرجه وعمد به إلى النار وقد كان ارسل إلى العبيد الموكلين بها الذين سموهم الزبانية فأمرهم باضرارها وتفويتها فلما ان قرب منها ناقد وجميل قربا واطلعه في درج عالي مبني من الرخام الملون حتى انتهى إلى أعلى الدرج فقال ناقد لجميل أتختر اي

الدار أردت فلما أشرف جميل على النار ونظر إلى قعرها وكثرة زفيرها وقال أبعدونني عنها وامضوا بي إلى الجنة فلما دخل فيها جميل وتوسطها واستنشق ريحها وتصايحت به حورها وافتتن جميل واحتوى الشيطان على قلبه فسلب الله تبارك وتعالى منه الايمان ومال إلى متلهم ورفض الاسلام

(قال الراوي) فعدل من ورائها جميل لعنة الله عليه إلى تلك الآلات والنور والآتية من الذهب والفضة فقال للجارية لمن هذه قالت لك وانا لك وجميع هذا لك حتى يمضي من وقته وساعته إلى الاله المنيع فهو الهنا الأعظم فتخر له ساجدا وتقر له بالعبودية فقال لها حبا وكرامة انا اسجد له مائة سجدة ثم خرج جميل وناقد ابن الملك معه لأنه كان يوصي الحور العين ان يخاطبه ويلقن له ذلك فلما خرج جميل قال ناقد إلى أين تريد قال إلى الاله المنيع والرب الرقيق اسجد له وأقر له بالعبودية فقال له ناقد أفلحت يا هذا ونجحت ثم اقبل ناقد راجعا إلى الصنم فما زال كذلك حتى قرب من الأبواب وما زالوا كذلك حتى دخلوه فيها وهمت المتنعمون في الجنة ان يدخلوا معهم فمنعهم الحاجب من الدخول فتصايحوا بناقد وقد قالوا له دعنا ندخل إلى ربنا المنيع الهنا السميع فنظر إلى معجزات ودلائله وآياته (قال الراوي) فاذن لهم ناقد بالدخول وهو امامهم قابض على يد جميل لعنه الله فما زال يدخل من باب إلى باب ان إلى دخل البيت الذي فيه الصنم فنظر القناديل توقد بأطيب الادهان ونظر الصنم معلقا في الهواء لا يرقعه عمود من تحته ولا علاقة من فوقه فحار جميل واندهش وأعطاه ناقد خاتما من الحديد الصني كبيرا فأخذه جميل بيده وتقدم الصنم فلما شم الصنم رائحة المغناطيس جذبته بالقوة المركبة من الحديد فلما نظر جميل إلى ذلك حار فعلم ناقد ذلك منه فقال يا ويلك اسجد فان الاله قد قربك إليه فعند ذلك سجد جميل لعنه الله وسجد معه جميع القوم فاقبل الشيطان اللعين الموكل بالصنم فدخل جوفه وجعل يهذي بكلام التضليل (قال الراوي) فصاح به الخدم من كل جانب ومكان يقولون يا جميل ابشر بالخير الجزيل فقد جاد عليك المنيع بالكرم والفضيل وقد خرجت من ذنوبك كبير

الناس رؤوسهم فلما فرغ تمسح القوم به تبركا وهنوه على ذلك وقبلوا يديه وكذلك ما قد ولم يزلوا من حوله محدقين إلى أن أوصلوه الجنة التي يزعمونها فلما دخلها استقبله صاحبته الطاغية بكأس من خمر قالت له خذ هذا الكاس فهو تمام الفرح وزوال العمر ولم يبق بعد يومنا هذا ولا نصب فتناول الكاس من يدها وتجرعه وأبعده الله تعالى عن بابه وطرده عن نبيه ونام مع صاحبته وكفر بالله العظيم ثم إن ناقدا أتى إلى أبيه وأخبره بذلك ففرح الهضام فرحا شديدا وقال وحق المنيع لو وصل إلينا علي بن أبي طالب لفعلنا به مثل هذا وكان نصير إلى ما صار إليه صاحبه وينسى ابن عمه وهل يرى هذا العميم والعيش السليم ويتباعد عنه وما زال الملك في كفره وطغيانه قال فلم يمتض الا يومان أو ثلاثة بعد امر جميل والقوم في لهوهم وسرورهم والسدنة من حول الصنم قد هجع القوم في بعض الليالي إذ صرخ الصنم صرخة عظيمة فازدحم على الأبواب وقام الملك من على سريره وأولاده حواليه فقال الملك لولده الأصغر وكان اسمه غنام انظر يا بني المنيطع ولا شك انه وقع بنا امر فانظر ما هذا الخبر فمضى غنام ورجع وهو طائش العقل فقال يا أبت انه صراخ المنيع ولا شك انه وقع امر فركب الملك من وقته وركب أولاده من حواليه وسار بهم الملك حتى دخل الصنم بعد سكوته فلما دخل عليه الملك صاح واضطرب ونطق الشيطان من جوفه ينشد ويقول قد حل في ساحتكم بطل ورمى شجعانكم كلا بالخييل هذا على قريب قد وصل فادهموه بالسيوف والنبل ثم اقطعوا منه بعزمكم الامل فهو لكم وفي يديكم قد حصل (قال الراوي) وكانت هتفة الصنم قبل ان يصل الامام إلى حصن الوجيه حين قتل المغضب وخلص السائقة وردها وتعوق بعد ذلك حتى فتح الحصن فلما سمع الملك من صنمه هذا الكلام قال يا الهي يا سيدي لا وقفته بين يديك ذليلا ثم إن الملك التفت إلى ولده ناقد وكان أكبر أولاده فقال له يا ناقد اسجد لإلهك فإنك لعدوه قاصد وله قائد وعن قريب تأتي به حقيرا ذليلا فخر ناقد ساجد للصنم فسمع عنده ضاحكا واستبشار وفرحا وسرورا امن الصنم يا ناقد ارفع امرك وأسرع بالاستعجال وجمع الابطال وتأتي به في القيد والا غلال منسكا في

أسوأ حال فلما سمع ناقد قام مسرعا ووقف مع أبيه إلى منزله فقال الملك
يا ابني انك وافر العقل تام الفضل وان إلهك لا يحذر الا من امر عظيم وهذا الغلام
المذكور علي بن أبي طالب وانه قد شاعت بين العرب اخباره وقد ظهر انه فارس
صنديد

وقرم عنيد الا ان إلهك وعدك النصر عليه وأخبرك انه وحيد فريد فامض إليه وخذ
من تختاره من قومك وعشيرتك وأوصيك إذا لقيته فحذره من ناري وشوقه إلى جنتي
فان ركن فجد العفو عليه وابسط جناح الاحسان وان أبي فاغتنم انفراده بأنك آمن
من ناصر ينصره ومعين يعينه ولا شك انك تجده حصنا الأقصى وهو حصن
الوجه نازع لامع الرعيان (قال الراوي) فعند ذلك قام ناقد على قدميه وجعل
يخترق الصفوف ويتصفح وجوه الرجال وينتخب الابطال واحترار ان يأخذ من صناديد
القوم الف فارس فلما لاح ضياء الفجر خرج ناقد وقومه قد تزينوا بزينتهم
المدخرة عندهم ولبسوا فوق رؤوسهم التيجان المرصعة باليواقيت والجواهر المثمنة
وركبوا الخيول العربية وناقد بن الملك الهضام أكثر منهم زينة وله ذوائب تبلغ إلى
مؤخرة سرجه وهو مقلد بسيفين عن يمينه وعن شماله ويده رمح خطي فلما تكامل
أصحابه وعزموا على المسير ركب أبوه يشيعه ويوصيه ويحرصه على الامام رضي
الله عنه إلى أن يعدلوا عن الحصن فرجع الملك إلى حصنه وصار ناقد وهو يجد المسير
فبينما هو سائر إذ لاحت غبرة عظيمة فتأملها وقال لقومه ما تكون هذه الغبرة العظيمة
فقالوا لعل ان تكون غبرة رمال أو ظباء شاردة أو زوابع عاقدة فقال لهم ناقد لو
كانت كما تقولون لكانت منفرجة وهذه عقدة معتقدة فتأملوها جميعا فقال بعضهم
وحق المنيع ان هو الا جيش وقال بعضهم غير ذلك فتحير القوم من ذلك
ووقفوا جميعا فبينما القوم وقفوا متحIRON إذا انكشف الغبار ولا حت الأسنة ولمعانها
وهي تبرق كالبرق وكواكبها زاهية فذهل القوم من ذلك ولم يعلموا انه جيش
الإمام علي رضي الله عنه وكان الامام قد نظر من بعيد فقال لقومه يا قوم لا
ترون ما أرى فقالوا يا ابن عم رسول الله ما ترى قال أرى جيشا كبيرا فتأمل
القوم فنظروا جيش ابن الملك فقال يا معشر المسلمين لا شك ان أصحاب الحصون

قد بلغهم خبرنا فهل منكم من يسرع إليهم فتقدم إليه جنبل بن ركيع وقال له يا مولاي اني لكلامك سامع ولأمرك طائع امرني بما تشاء وتختار فاني وحق ابن عمك محمد لا أخالف لك امر فجزاه الامام على ذلك خير وقال له أنت لها يا جنبل فأسرع إليهم فان كانوا من أعدائنا فلا باس ان تخدمهم بخديعتك لا تذكر لهم انكم ظفرتم بي وأمسكتموني وأسرعوني وانكم سائرون بي إلى الملك الهضام لتأخذوا منه الجزاء والاكرام ثم قال له الامام بادر وفقك الله إلى مسيرك فمشى جنبل ابن ركيع إلى أن قرب من جيش ابن الملك الهضام فوجدهم قد جردوا السيوف وعزموا على القتال والحرب فنظر جنبل إليهم وإذا هو ناقد بن الملك وكان اعرف صاحب خديعة كثير المكر والحيل فلما عرفه وتحققه وعرف ناهد بن الملك ترحل جنبل عن جواده واقبل يسعى على قدميه فلما قرب من ناقد خر ساجدا لله تعالى فلما نظر إليه ناقد عرفه وظن أنه ساجد إليه فقال يا جنبل ارفع رأسك فقال يا مولاي عبدك وأمتك فقال ناقد اركب جواده فركب جواده فقال له ناقد يا بن وكيع ما وراءك وما الذي بلغك من خبر هذا الغلام الكثير الانتقام علي بن أبي طالب فقال جنبل اسمع يا مولاي بينما نحن سرحنا وغنمنا على ما جرت عادتنا ونحن في الظل مجتمعون نرتع ونلعب إذ حضر إلينا غلام من أعلى الوادي وهو يهوي كالبرق يهرول في مشيه ويوسع في خطواته ثم اجتمع ووثب وثبة عدي النهر يشب كالأرنب ويخطو كالأسد يقصر الليث عن وثبته في عظم خلقتة وكبر جثته كبير الساعدين بعيد ما بين المنكبين فتحققناه وتقربنا منه وتصايح أهل الحصن ونزل إليه سيدنا المنتقم فنازله في ميدان الحرب فلم يزل به ومعه حتى عثرت برجله في حجر فوقه على وجهه فترامت عليه الرجال والابطال فأخذوه باقتدار أسيرا وملكوه وصار في أيديهم حقيرا ذليلا ثم كتفناه وحملناه بعد أن جندل منا جماعة كثيرة من الرجال والشجعان والابطال فأجمعنا على قتله فمنعنا عن امره المنيع الاله الرفيع فلم نجعر ان نسير به الا في عدة من الابطال والرجال

الفوارس وهذا يا مولاي جملة أمرنا وغاية خبرنا (قال الراوي) فلما سمع ناقد ذلك ما قاله جنبل تهلل وجهه فرحا وسرورا ثم قال وحق المنيع لقد فرحتم بهذا الغلام واستوجبتم فعلكم الاكرام وما خرجت من مكاني لهذا الغلام الكثير الانتقام فحصل لكم بلا ملام لكن يا جنبل ارعيني وصفك لهذا الغلام فعد إلى وأمرهم ان يسرعوا إلينا ويقدموا بهذا الغلام علينا فعاد جنبل راجعا وقال يا أبا الحسن لقد اتيتك بطير سمين وهو ابن الملك في الف فارس قال فسار الامام حتى وصل الامام عسكرنا فقال ناقد وجبت لك البشارة يا جنبل فأين هذا الغلام المسمى بعلي فلم يتم كلامه حتى تقدم الامام إلى ناقد واسفر عن لثامه وقال له ها انا معدن المواهب انا المشهور في المناقب انا علي بن أبي طالب (قال الراوي) فلما سمع ناقد كلامه قمع جواده بالسوط وصرح في قومه وقال يا قوم ان جنبلا خدعكم ولم ينجيكم من القوم الا القتال الشديد فأقرنوا المواكب وصفوا الصفوف فنفرت الرجال للحملة فقال الامام لا صحابه احمولوا بارك الله فيكم وعليكم وبقي ينظر لعلي ان يقع نظره على ناقد فيقبضه قال فحملت الرجال على الرجال واختلط الجمعان ووقفوا السيف بينهم قال فبينما الامام ينظر ناقد فإذا هو قد وجده حسن الوجه صغير السن فلما نظره الامام أشفق عليه ان يقتله وكان لا يرحم كافرا قط غيره فبينما الامام وناقد حملا على بعضهما وإذا بصياح عال فإذا هو صاحب حسن الرامق ويسمى الخطاف وكان قد ارسل إليها أصحاب ناقد وقالوا له الحق بن الملك فإنه مع علي يشد القتال فلما أشرف عدو الله الخطاف على ناقد قال يا مولاي ما يكون للملوك قتال ارجع ودعني مع هذا الغلام ثم تقدم الخطاف إلى الامام وهو ينشد ويقول

مالي أرى القوم في كرب وفي حرج * قد مر بلواجمهم بالويل والكفر
وكلهم جزعوا من خوف سيف علي * نسل الكرام المسمى من ذوي مصر
القوم قوم اله يعرفون به * من الحديد ومن جزع ومن صفر
لا تركزنا تحت ذلته * حتى أطوف به في البدو والحضر

(قال الراوي) ثم حمل عدو الله وجعل يخوض المعممه بسيفه وقاتل في ذلك اليوم قتالا شديدا فبينما هو يكر على المسلمين وإذا صوت الامام رضي الله عنه وهو يقول انا ابن ابرار من نسل هاشم المختار انا ماحق الأشرار فلما سمع عدو الله صوت الامام ومهارته في الحرب وهو يخطف الفارس من سرجه ويضرب به الثاني فيقتل الاثنين فهابه القوم ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل إلى وقت العصر فافترقوا وقد ملئت عرضا الوادي بالقتلى وتراجع الفريقان في أماكنهم ورجع الامام إلى عسكره يترنم ويقول شعر

حرمه الحرب بغيتي ومرادي * وطريقي إلى فنا الأوغاد
يا ابنة الطهر لو رأيت حروبي * وشهودي وشدتي وجلادي
وولوج الحسام في منهل النقع * لا شفى من اللثام فؤادي
(قال الراوي) فاستبشر به وفرحوا وهنئوه بالسلامة فرجعت الطائفة الأخرى إلى موضعها خاسرة فلما أصبح الصباح تراجع الفريقان وقام الحرب والطعان ثم قال الامام ان القوم أكثر منا عددا وأقرب منا ديارا واني أخاف من نجدة تنجدهم فيكثر علينا الامر ويكثر علينا الشرواني أرى من الرأي اننا نبادرهم قبل ان يبادرونا وذلك أهيب لنا في قلوبهم وأرهب في نفوسهم ثم قال لأصحابه قفوا مكانكم حتى أسير بين الصفيين واطلب البراز فعسى ان يخرج عدو الله الخطاب بلا تعب فقالوا يا سيدنا ان في القوم أسدان أحدهما ناقد الملك الاخر الخطاب فأخذوهما وقد عرفتهما بالأمس قال الامام حسبنا الله ونعم الوكيل ثم خرج الامام منفردا بنفسه واخذ رمحه وغير حلته فلما تمثل بين الصفيين قال الخطاب لناقد من هذا الذي تعرض للقتال وطلب البراز قال ناقد هلا تعرفه قال لا هذا علي ابن أبي طالب فقال الخطاب اني أراك يا ناقد كثير الوصف له لعلك كثير الارتعاد منه قال نعم فبينما هم كذلك إذ زحف الامام عليهما حتى قاربهما ثم نادى هل من مبارز هل مناجز فلم

يبرز إليه أحد فحمل على الميمنة فقلبها على الميسرة وقال ما شاء الله تعالى ورجع إلى مكانه ونادى
هل من مبارز هل من رواح إلى قابض الأرواح فلم يجبه أحد فحمل على الميسر فقلبها على

الميمنة وقال ما شاء الله ورجع صوب القلب ونادى أين من زعم أنه كيف كريم فلم يتم كلامه حتى انقض عليه وهو على جواد أشقر ويده رمع طويل حتى صار بين يدي الامام ونادى يا غلام الرفق بالمرء يوصله إلى هنا فاكشف لنا عما تريد فلعل ان تكون الإجابة عندنا والانعام والآن قد كشفت لنا عتابك ولعمري قد كنت متطاولا لرؤيتك فقل ما أنت طالب وما مرادك فأعجب الامام من كلامه وقال له مرادي ان تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قلت ذلك وأقررت لله بالوحدانية فلك مالنا وعليك ما علينا واما صنمكم الذميم فسوف يظهر فيه العبر واكسره امامكم كسرة الحجر وترجعون إلى عبادة الرحمن فتكونوا شركاء لنا وإخواننا في الاسلام فقال له ناقد يا ابن أبي طالب دونك إلى أم خاطر وموت باثر فقال له الامام دونك والقتال قال فوقف ناقد يتكلم في نفسه ويقول وحق المنيع وزجراته لو تركناه حيا لغشنا في منزلنا وطرقنا في مرقدنا ولعمري اني أجد في كلامه حلاوة ولمنطقه مرارة اني ارغب وأخشى ان يفعل ربي الأعظم ما يشاء فقال الامام يا ناقد أطلق بلسانك بالوحدانية لله تعالى واشهد بالرسالة محمد صلى الله عليه وسلم يمح عنك ما سبق قال ناقد ما انا بالذي

يفعل ذلك ويبقى له العار والشنار فلما سمع الامام كلامه علم أن لا بد له من لقائه فتقاربا

وعظم الجدل والفريقان ينظران فما زال حتى مضى النهار واقبل الليل فخاف الامام ان يدركه الليل ولم ينل منه ما أمله فحمل عليه الامام وكان قد ظهر له من ناقد التقصير فطمع فيه وجعل يدبر عليه الحيلة من أين يأخذه فتصارخت الابطال وتزاعقت الشجعان وإذا بالمشركين يصرخون ويقولون خرج الخطاف وانذهل العسكران والخطاف ينادي لا تعجل يا غلام علينا فنجعل ابق علينا نبق عليك فوثب الامام على ناقد وقبض عليه فتعلق به وتعاركا طويلا فأدركهم الخطاف وقد همد وسمعنا عدوات الامام

وزجراته ثم خمدت فلم يسمع لهما حس هذا والغبار متزايد وقد طال على الناس المطال ولم يبق أحد من الفريقين الا وايس من الامام رضي الله عنه فقال جنبل نحن فرضنا في الامام إذا تركناه مع هذين الاثنين ولم نخرج إليه ولم نساعده

ولم ننجده بأنفسنا وأي عذر لنا عند الله فاجمعوا امركم واحملوا بأجمعكم فعمسى ان نخلص سيدنا وأميرنا وانه قد وقع بين حجرين دامغين ولا خلاص له من بينهما الا ان يشاء الله وقد رام كل فريق ان يحمل على صاحبه وقد زاد القلق واشتد الأرق وازرت الحدق وإذا بصرخة عالية وذا بالامام قد خرج من المعركة وهو يقول فتح ونصر وخذل من كفر هذا وناقد في يده كالحمام في مخالبا الباز ونظروا وإذا بفارس هارب من تحت العجاج فتأملوه فإذا هو الخطاف واما ناقد فصار مثل العصفور في يد الباشق فسلمه الامام لا صحابه وقال يا معشر الناس ان القوم قد خمدت جمرتهم فاحملوا عليهم بارك الله فيكم وعليكم فقالوا يا أميرنا الليل قد اقبل والنهار قد ادبر فقال لهم الامام أضرمو النيران فإنها ليلة كثيرة الأهوال والله أعلم بالمآل

(قال الراوي) فعلوا ذلك وأقبلوا على السهر والرصد وهم جلوس قابضون على أسلحتهم وتولى الامام حرس المسلمين إلى أن أصبح الصباح واما المشركين فهربوا مع الخطاف إلى الحصن فقال عسكر ناقد يا خطاف تمضي إلى حصنك وتخلي ابن سيدنا في الأسر اما وحق المنيع فلا نسلمه لعلي الا ان قتلن عن آخرنا ولا لأي شئ خرجت معنا وقد رميت سيدنا ورجعت وأنت سالم فقال الخطاف يا ويلكم لقد قاتلت ومانعت عن نفسي وسعيت في خلاصه فما استطعت ولو أن لعلي كفاء لما خلصت

من يديه فقالوا له امض إلى حصنك ونحن إذا أصبح الصباح سعيانا في خلاصه واما الامام فإنه لما طلع الفجر اذن وصلى بأصحابه صلاة الصبح ثم اقبل يحرض الناس على القتال ويقول معاشر الناس اعلموا انكم في غمرة ساهون وكنتم تعبدون الأوثان فأنقذكم الله وأسعدكم بفعلكم وهذا عدوكم بإزائكم ثم إن الامام دعا بناقد وقال له يا ناقد لقد نفذ فيكم القضاء وقيدك رب السماء وأنت في امل فهل لك ان

تبقي عليك قبل ان تسكن برمسك قال يا ابن أبي طالب أتنجي منك ناج بعد أن كان بيني وبينك من الوحشة والبغضاء والعداوة قال الامام يا ناقد إذا كان قلبي مبغضا على كافر واسلم وأقر بالوحدانية لله ولمحمد رسوله بالرسالة بدلت البغضاء بالمحبة وانقلبت الوحشة بالمودة فإذا قررت بهما بطيب عيشك

وتفوز بخير الدنيا والآخرة قال يا ابن أبي طالب من يخلصني من المنيع قال له ان طول الله عمري لتنظرن صنمك المنيع بأمر هائل شنيع وتراه في النار التي وصفتها ملقى حريقا فقال يا ابن أبي طالب لا شك فيك ولا فيما أظهرته وفعلته فقد وهبت نفسي لك في هذا اليوم ولا أبالي بما يلحقني من المنيع ولا من أبي وذوي حسبي وانا أقول اشهد ان لا الله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقد أفلح من آمن بربكم وخاب من كذبكم وها انا أقاتل بين يديك في القوم لله ورسوله ولك ولأبغك الرضا (قال الراوي) فسر الامام سرورا عظيما وقال له البس آلة حربك واركب جوادك حتى تخرج إلى قومك ثم امر المسلمين بالركوب فركبوا خيولهم وفعلوا ما أمرهم به الامام

فلما تقاربوا من المشركين قال الامام لناقد يا ناقد أبرز بين الصفين وادع قومك إلى الاسلام فلعل الله يهديهم كما هداك فخرج ناقد فخرج وهو راكب على جواده ولا بس

آلة حربيه فلما نظروا إليه فرحوا فرحا شديدا ولم يبق أحد منهم الا عرفه وقد ظنوا ان الامام اطلقه فلما قرب ناداهم بأعلى صوته يا قومنا قد ظهر الحق وانكشف الغطاء وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا يا قوم عدوا عن الضلالات واعتذروا لرب البرايا يغفر لكم ما مضى وها هو آت يا معشر قومي وعشيرتي ليبلغ عني كبيركم وصغيركم اني قائل اشهد ان لا الله الا الله واشهد ان محمد رسول الله لا أحول عنها ولا أزول وما أنتم أشد مني بأسا ولا أقوى مراسا وهذا باب قد فتح الله طريقه لكم ولا ح لكم بحقيقة فكونوا مثلي تفوزوا بالشهادة وتكونوا من أهل السعادة فما كان غير ساعة من الزمان حتى ظهر من القوم كردوس عظيم نحو الف فارس ولم يزالوا سائرين حتى وقفوا عنده وإذا هم من أصحابه الذين خرجوا معه من عند أبيه وهم يقولون يا سيدها لنا أسوة بك والذي تختاره أحنا نرضاه ونحن نشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا تصديق

ايماننا ثم عطفوا على قومهم أصحاب الخطاب ووضعوا فيهم السيف البتار وحملت المسلمون معهم والامام في أوائلهم وناقد إلى جانبه فلم تكن الا ساعة حتى ولت المشركون ولم يزل السيف الطعن واقعا فيهم وكان الخطاب على ساقه

العسكر فقاتل قتالا عظيما فلما ولت أصحابه ولى طالبا للحصن فدخل الحصن هو وأصحابه ثم إن الامام جمع الغنائم وكثرت المسلمون واشتدوا بناقد وعزمه وقوته وصار المسلمون نحو من الف وخمسمائة فارس وكلهم ابطال عوابس فتبعوا أصحاب الخطاف ولم يزالوا معهم إلى باب الحصن فدخلوا الحصن وأغلقوا بابه ونزلت المسلمون عليه بقية يومهم وقد امتلأت الحصون بذكر الامام وقد قذف الله في قلوبهم الرعب

(قال الراوي) ثم إن الخطاف لما دخل الحصن قال أصحابه يا سيداه ما وراءك وما الذي دهاك وبشره رماك فكان لا يقدر ان يرد جوابا من شدة الخوف فقال لهم اغلقوا الباب وحصنوا أنفسكم ففعلوا ما أمرهم به وهو جالس فلما سكن روعه سأله ما دهاك قال يا قوم قد ذهب زمانكم فقالوا أيها السيد بين لنا ما وراء كلامك فقد أرعبت قلوبنا من خطابك فقال يا قوم قد دهمتكم المحمديون وهم ليوث ابطال يقدمهم الليث المغوار الذي كأنه صاعقة من السماء قد نزلت واخذت قلوب الرجال مفلق الهام وقد احتوى على ناقد بن الملك واتباعه وقد خطفه من سرجه فانظروا لا أنفسكم فان عليا لاحق بكم

(قال الراوي) فلما سمع قومه ذلك ضجوا بالبكاء ضجا شديدا وتصارخوا بالويل والعيويل فبينما هم كذلك في صراخهم إذ ظهر إبليس اللعين في صورة شيخ كبير قد أفناه الزمان منحني تكاد جبهته تصل إلى الأرض وعليه جبة صوف في شكل الرهبان ويده عكاز ووسطه مشدود بخيط من صوف وفي رجليه نعلان من خوص النخل فلما نظره القوم تنافروا يمينا وشمالا يصرخ بهم ما تنازكم وانا رسول المنيع أرسلني إليكم حتى أرى ما بكم من الجزع وشدة القلق الفزع لأسكن قلوبكم وابرز لقتال عدوكم فأزيل عنكم الشدة وابطال البكاء والحزن من الأعداء وإذا أشرف عليكم هذا الغلام أتولى انا قتاله دونكم ولا أريد منكم بصيرا ولا معيا أو إذا رأيتموني قد وصلت إليه واحتوية عليه وقد ظهر المنيع بجنوده ونيرانه ودخانه فمن أراد ان يسبق إلى خيل القوم وسلاحهم فليبادر إلى ما شاء فلما سمع القوم سجدوا للصنم ثم رفعوا وزاد فرحهم قال مروع الوحوش أيها الشيخ اني لا ظنك من جند المنيع

الهنأ فقال له إبليس اجل وانا رسول بينه وبين عباده لا ني أسبق الناس إلى عبادته وخدمته فجازاني بهذه الكرامة فكونوا في امامكم حتى تروا ما يسركم من قتل عدوكم فقالوا أيها الرسول انا لنراك أضناك الكبر وانا لا نوقن ان لا طاقة لك على الحرب والنزال وشدة القتال فقال لهم إبليس لعنه الله كيف تشكون في المنيع وتقولون انه لا يقدر على شئ فقالوا انا لا نشك في ذلك ابدا ونعرف ان المنيع له عزم عظيم ولكن نريد ان نرى شيئا من برهانك لنكون على علم وتطمئن به قلوبنا فلما سمع منهم ذلك قال لهم ان المنيع لو أراد هلاك هذا الغلام قبل وصوله إليكم لفعل ذلك ولكن يريد ان يستدرجه إلى أن يوقعه في أيديكم حتى يذيقه العذاب والهوان وتنسرح صدور الرجال وتنالوا عنده المرتبة العليا والفخر الزائد العميم وبعد ذلك يهلكه فإنه ذو عزم شديد وانا أريكم بيان ذلك وبرهان المنيع الاله الرفيع وشدة قدرته ثم بسط يديه وأوماً بها إلى الحصن فخيّل لهم انه قد رفع الحصن فوق إصبغه وشاله ثم عاد فوضع بين يديه فرأى القوم الحصن كما كان في مكانه فخر سجداً للجميع

فقال لهم إبليس يا قوم ارفعوا رؤوسكم ثم غاب عن أعينهم فلم يروه (فقال الراوي) فعند ذلك قال لهم مروع الوحوش أبشروا يا قوم فقد جاءكم الفرج فلما سمع القوم ذلك لبسوا سلاحهم وآلة حربهم وتفرقوا في جوانب الحصن وضربوا على سوره سرداقا من جلود الفيل ونصبوا الرايات والاعلام وعزموا على الحرب والقتال وقد اصلحوا شأنهم فبينما هم كذلك إذ أشرف عليه الامام رضي الله عنه وأصحابه معه على مهل وعليهم الهيبة والوقار فانحدر الامام إلى الوادي وأشرف على حصن رامق وقد أظهرت الحدائق والشمس قد اصفرت لغروبها ثم نزل وامر أصحابه بالنزول فنزلوا من حول الحصن وانسدل الظلام وأضرموا النيران وتحارس الفريقان والامام رضي الله عنه متولي حرس قومه بنفسه يحوم عليهم كحومة الليث على أشباله (قال الراوي) فقال عدو الله الخطاف مروع الوحوش لا صحابه اني لم أر رسول المنيع صنع في ابن أبي طالب شيئا وها هو نازل بايذائنا بالسلامة

فقال له قومه لا تستبطل قول رسول المنيع فقال لهم احفظوا حصنكم وانزلوا من داخله لئلا ينقبوه عليكم ويدهموكم فابتدروا جماعة من القوم إلى ذلك وعدو الله الخطاف يدور على سور الحصن لينظر ما وعده به رسول المنيع وهو قلقان شاخص إلى جهة الامام رضي الله تعالى عنه لا يعلم بغير ذلك بينما الامام مع أصحابه إذ لاح لهم برق نار واضرام شرار وقد بان من ناحية الشرق ولاح البرق فحقق إليه الامام وقال لمعت نار مارد نراه يتعرض لي ولا صحابي (قال الراوي) ثم إن الامام رضي الله تعالى عنه أيقظ أصحابه وأمرهم بالجلوس ورفض الامام فنظروا إلى تلك النار وهي قاصدة وشارها متوقدة فقال جنبل بن ركيع يا أمير المؤمنين ما هذا النار فقال الامام يا قوم سكنوا روعكم وطمنوا قلوبكم فإنها نار الشيطان ولا سبيل له على أهل القرآن وجنود الرحمن فبينما الامام يخاطب قومه إذ تزايد لهيبها فما نظر الامام إلى ذلك اخذ رمحه وخط به خطأ حول أصحابه وناداهم اجتمعوا ولا تتفرقوا واذكروا ربكم واصبروا ثم جعل الامام رضي الله عنه يقرأ القرآن ويتلوا آيات الله العظام وأسمائه الكرام عند الرسم الذي خطه برمحه وهو دائرية حول أصحابه ولم يبق أحد من خارج الرسم غيره ثم قال معشر الناس اني ضربت عليكم حصنا حصينا فلا يخرج منكم أحد ومن خرج لا يلومن الا نفسه واطركوني انا لهم والله المعين والناصر عليهم انه على كل شئ قدير فقال ناقد يا أبا الحسن فالتفت الامام رضي الله عنه مبتسما غير مكترث بما ظهر وقال يا ناقد أنت أقدمك لمبارزة الرجال والابطال فليس لك طاقة على قتال الجان فقال ناقد لا والله يا أبا الحسن لا انزع الله ما أعطاك وأتم عليك ما أولاك (قال الراوي) فبينما الامام يخاطب ناقد إذ وصلت النيران إليه ثم اشتدت ودارت حوله أصحابه وصارت كالسرادق المنصوب عليهم وهي دائرة بهم من كل مكان وتزاعفت الجن بأعلى أصواتهم وصار لهم نباح كنباح الكلاب ففزع كل من كان مع الامام وخافوا وأيقنوا بالهلاك ويئسوا من أنفسهم ومال الإمام رضي الله عنه إليها بعضهم والتصقوا وأمسكوا عن

الكلام هذا والنيران قد خمدت بإذن الله تعال فبينما هم كذلك وسمع مروع
الوحوش الخطاف أصوات وضجات وهو من داخل الحصن حتى نظر إلى النيران
وهي محاملة بالامام وقومه فنأدى الخطاف قومه وقال لهم كيف رأيتم بصر الاله
المنيع لقد خاب عن عاده وخالف امره ورضاه فدونكم الغنيمه الشامله والمسرة
الكامله ان تدركوا ابن أبي طالب قبل ان تلهيه فتأتوا به ذليلا حقيرا إلى الملك
الهضام والاله المنيع فيحكم فيه بما يشاء ويختار وتكون لكم الخلع والاكرام
والمراتب العظام ثم أسركم لهذا الغلام (قال الراوي) فقال له الرجل يسمى جندب
بن عميرة الحميري وكان رجلا مكينا شجاعا رزينا له بصيرة وعقل ورأي سديد
يا مروع الوحوش الزم مكانك فهو أصلح لك وقابل ابن أبي طالب وأنت في حصنك
فهو أيسر لك واعلم أن هذا ناره أعظم من هذه النار وسيف محمد يطفئ هذه
النيران وانا اعرف ما لا يعرفه غيري انا محترق النيران فلما سمع الخطاف ذلك الكلام
نهره وزجره وقال له اسكت لا أم لك لقد صرت شيخا كبيرا ولا عقل لك ولا سكن
معك سرى الخوف من ابن أبي طالب حتى صار ممتلئا به قلبك وظهري من بين عينيك
يا ويلك أيغلب ابن أبي طالب الهنا المنيع وجنده ويكذب رسوله فيما قال لنا ويعدنا
بالمحال واني لا أعلم ان يأتيهم الصباح إلا وهم رمادا ويحك اما رأيت رسول المنيع
كيف رفع الحصن على يديه حتى كدنا ان نخر على وجوهنا لولا تضرعنا إليه ولو
أراد ان يقلب عليهم هذا الجبل لقلبه عليهم ولو أراد ان يخسف بهم الأرض لخسفها
بهم قال له جندب اما انا فقد نصحتك وحذرتك وما قلت اليوم مالك أمرنا واما انا فلا
أفارق مكاني ملازما لموضعي إلى أن انظر ما يكون فقال له مروع الوحوش الخطاف
كن مع النساء وعليك بالحرس ثم تركه نزل مغضبا وقال لقومه دونكم وأعداكم
فانحدر مع القوم مسرعين فلما خرجوا من الحصن امر جندب بغلق الباب خلفهم
وابشاقه بالأفقال وقال لمن بقي معه في الحصن انظروا لا أنفسكم واحفظوا حصنكم

فما أظن عدتم تنظرون قومكم بعد هذا اليوم ابدا فهذا ما كان من عدو الله الخطاف وقومه واما ما كان من امر الامام رضي الله عنه فإنه لما احتاطت به النار من كل جانب ومكان نادى برفيع صوته يا معشر الجان باي شئ تتعرضون وعلى توهجون وانا عذابكم النازل وسهمكم مقاتل انا أبو الزلازل انا ابن عم الرسول الفاضل انا البحر الساكب انا المذكور عند المطالع والمواهب انا ليث بني غالب انا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب

(قال الراوي) فاحترقت تلك النيران وأهلك أشخاصهم وقتل مردتهم فولوا ناكسين ووصلوا إلى الرسم الذي رسمه أمير المؤمنين فلما وصلوا إليه تراجعوا عن أصحاب الإمام ولم يستطيعوا إليه وصولا وصار الرسم حصنا بين الجان وبين أصحاب الإمام

ولم يصبروا على ما طرقتهم فخرج منهم ناس هاربين والى الامام طالبين فما زالوا عن الرسم حتى كادوا ان يهلكوا ويحترقوا وكانوا سبعة أنفار ومنهم جنبل ابن ركيع وناقد بن الملك من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دارت بهم النار وقبائل الجان

نادوا برفيع أصواتهم يا سيداه يا علياه يا محمداه يا رباه فلما سمع الامام أصواتهم أسرع الامام إليهم وهجم عليهم فتسافر الجن عنهم يمينا وشمالا عند وصول الامام فخلص الامام قومه وقال لهم ما حملكم على ذلك ولم خالفتم أمري فقال جنبل يا سيدي ضعف اليقين وصوله الجان فما هذا وقت ملام وكن مخلصا لنا ولنفسك من هذه الأهوال فتبسم ضاحكا من قوله وهو غير مكترث (قال الراوي) فبينما الامام كذلك إذ سمع صوت مروع الوحوش وهم ينادون إلى أين يا ابن أبي طالب من عذاب المنيع الواصب لقد غرك الذي أرسلك إلى المنيع انا

مروع الوحوش الخطاف ثم تقدم إلى الامام وهو يظن أنه ظافر به فقال على دونك فافعل بي ما أردت فظن عدو الله ان أمير المؤمنين قد أسلم نفسه فقصد نحو الامام وهو يقول

إذ خلد القوم بذل أسرهم * هذا علي قد اتى بشره
وقومنا قد فزعوا من سحره * لأذيقه عذاب اسره
(قال الراوي) فلما سمع قوم الامام قول الخطاف زاد اضطرابهم وكثر قلقهم

ثم صاح بعلو صوته لا يتداركني أحد ولا يشاركني في ابن أبي طالب فسمع الامام وقومه ذلك من الخطاب وكان جهوري الصوت فلما سمع الامام وأصحابه ذلك ارتخفت قلوبهم وتقدم مروع الوحوش إلى الامام وهو يظن أنه في قبضته فنظر إليه وهو كأنه سابقة ريح عظيم فلما نظر مروع الوحوش إلى الامام وهو على هذه الحالة اندهش وارتعش وندم على خروجه من حصنه ثم انه انقى سلاحه من يده وقال يا ابن أبي طالب ابق على أسيرك وحسن إلي بكرمك فتقدم الامام إلى مروع الوحوش وأوثقه كتافا بعمامته واخذه أسيرا فما اخذ مروع الوحوش ولى أصحابه هاربين والى حصنهم طالبين وهم لا يصدقون بالنجاة يسلم الامام مروع الوحوش إلى جنبل وناقد ثم سار الامام نحو النيران وهو يقول يا شرحبيل اسكنوا البراري واستوطنوا خلاء القفار لئلا ترموا بالدمار من عند رب قادر قهار انا علي لمرتضى الكرار وابن عم المصطفى المختار انا علي ولي الجبار مييدكم بالحد والشفار ومحلكم بالويل والدمار فما أتم كلامه حتى ولى الجن هاربين ووصل الامام إلى أصحابه فاستبشروا بقدمه فاقبلوا يسألونه عن حاله وما كان ليلته وهو يحدثهم فبينما هم في الحديث إذ سمع صراخ جنبل وناقد وهم ينادون يا أبا الحسن ادركنا قبل ان تتركنا فلما وصل الامام إلى ناقد وجنبل وجاهما يبكيان فقال لهما الامام ما هذا البكاء وقت الفرج فقال ناقد يا سيدي لما عمتنا الأهوال واشتغلنا عن مروع الوحوش بأنفسنا فحل الخطاب وثاقه وفر هاربا إلى حال سبيله فلما سمع الامام ذلك صعب عليه وكبر لديه ثم قال لا باس عليكم طيبوا خواطركم فهو الذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا ونذيرا لأورينكم فيه ما يسركم وانا اعلم أن لا ملجا لعدو الله غير حصنه فيا قوم الله سبحانه وتعالى قد كشف عنكم ما كنتم فانهضوا إلى أصحابكم واخوانكم ولا تزولوا عن أماكنكم إلى الصباح فاني متبع اثر القول وصاحبكم الخطاب فان صبح الصباح ولم آت لكم فاقصدوا أنتم إلى الحصن فتجدوني فيه فسار الامام إلى أن وصل إلى الحصن فرأى القوم على أعلى الحصن وقد وقدوا نيرانهم فرأهم الامام في ضوء النار وهم لا يرونه وقد وصل القوم المنهزمون إلى الحصن

وهم تحت الذلة فبينما هم كذلك تقدم الامام رضي الله تعالى عنه إلى قريب من الباب والمنهزمون ينادوا لجندب بن عميرة الباهلي ويقولون افتح لنا الباب فلما فتح تقدم الامام واختلط بالقوم وصار من حملتهم ودخل القوم يكرشون بعضهم بعضا وهو لا يصدقون بنجاة أنفسهم فدخل وجلس وهو قابض على سيفه فلما تكامل القوم في الحصن اغلقوا بابه ووقفوا في أزقة فاقبل عليهم الذين في الحصن وقالوا يا ويلكم ما الذي نزل بكم فاحبروهم بالذي جرى لهم مع الامام فلما سمع القوم ذلك ذهبت أفراحهم وقال بعضهم لبعض ان انسانا وحده يغلب المنيع وجيشه فقال جندب بن عميره يا ويلكم اما سمعتموني وانا انصح صاحبنا مروع الوحوش فاني النصح فيا قوم وحق المنيع ان كانت يد ابن أبي طالب علقت بصاحبنا الخطاف فهو مخلص روحه من جسده فقال جندب يا قوم إذا اتاكم إلى الحصن فاسألوه أنتم في الحصن الأمان فإنه يأمنكم لا يخونكم وهو كريم (قال الراوي) فوثب الامام قائما في وسطهم وزعق بهم وقال ها انا قد جئتكم ووصلت إليكم ها انا ممزق الكتائب ها انا ليث بني غالب ها انا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلما سمع القوم ذلك من الامام انقطعوا عن الكلام فقال له جندب الحميري يا ابن أبي طالب أنت من السماء نزلت أم من الأرض خرجت أم من الباب دخلت فقال لهم من الباب دخلت فلا يخلو امركم من كلمتين اما ان تقولوا نشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واما ان تقولوا لا وتموتون جميعا (قال الراوي) فلما سمع القوم مقالته نظر بعضهم إلى بعض فقال جندب يا ابن أبي طالب اني قد أشرت بذلك على قومي فأبوا اما انا اشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله آمنت بالله وبرسوله ثم التفت إلى قومه وقال يا قوم

ما يقعدكم عن رشدكم فنادى القوم عن لسان واحد قائلين لا الله الا الله محمدا رسول الله فلما سمع الامام رضي الله تعالى عنه منهم شكرهم وجازاهم خيرا وفرح باسلامهم فرحا شديدا ثم قال لهم يا قوم لا يتم اسلامكم ولا يكمل ايمانكم حتى تقاتلوا آباءكم واخوانكم وعشيرتكم فان قتالهم فرضا عليكم فقالوا بأجمعهم يا ابن عم رسول الله انا نقاتل معك وبين يديك حتى نرضاك ونرضي الله ورسوله

فجزاهم الامام على ذلك خيرا وقال الحمد لله الذي جعلكم من أهل الايمان وحقن دمائكم ثم التفت الامام إلى القوم وقال لهم يا قوم ان عدو الله الخطاف قد اخفى امره فهل عندكم منه خبر فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين لم يكن في الحصن غير الرغداء بنت

الخطاف وهي بمنزلها ونحن نخشى سطوتها الا انها أشد من أبيها وهي من الجبابرة ونسل العمالقة من بنات حمير وقد اعتدت ركوب الخيل وخصوص الفرسان في الليل ولقاء الرجال وقاتل الابطال على جسورة على القتال يحذر مكانها الفرسان فعند ذلك تبسم الامام ضاحكا وقال اني لا أفزع من تهابه الابطال فكيف بذات الحجاب

امضوا إليها واتوني بها لأمضي أمري معها فقالوا أيها الأمير ما للنساء الا النساء فقال الامام بل يمضي إليها جميع النساء وهم يقولون بأجمعهم لا إله إلا الله محمد رسول

الله فإذا سألتهن عن ذلك يخبر بخبري وما جرى لهم معي فطلعت النساء من وقتهم وساعتهم إلى دار الخطاف وهن يقلن لا الله الا الله محمد رسول الله فأشرفت عليهن

الرغداء من منظرتها وليس عندها أخبر باسلامهن فقالت لهن يا ويلكن ما هذا الكلام الذي لم أسمع ابدأ منذ ملكت عقلي ثم نزلت لهن فقلن لها يا رغداء ان كنت نائمة فاستيقظي فان الحصن قد ملك قالت ومن ملكه فقالوا لها علي بن أبي طالب فقالت وأين ابن أبي طالب فقلن لها هو في الحصن فقالت وأين الخطاف فقلن اسره وانفلت من بعد الأسر فلا ندري أين سار وقد أسلم كل من في الحصن وهو يدعوك إليه لتدخل في دينه فلما سمعت الرغداء منهم ذلك فارت بالغضب ثم كتمت غيظها سرا وقالت أين يكون الغلام الذي ذكرتموه فقلن لها ها هو في أقصى الحصن يبائع الرجال فقالت لهن على رسلكن حتى أسير معكن ثم دخلت منزلها واخذت خنجرها فشده في وسطها من تحت ثوبها وأظمرت الشر لأمر المؤمنين وقالت في نفسها ان وصلت إليه لم ابق عليه واقبل النساء على أمير المؤمنين وهي معهن وقد تأخرت عن النساء لتنظر كيف يبائعهن ويكون ذلك أمكن لها من الامام ثم إن علي لما هم ان يأخذ البيعة على الرجال والنساء فإذا هو بباب الحصن يطرق طرقا خفيفا فقال الامام انظروا من الطارق وشرف بعضهم من

أعلى الحصن ونظر من يكون من خارج فإذا هو الخطاف وهو يقول افتحوا يا ويلكم قبل ان يدنو من صاحبكم لذهاب فقالوا من أنت قال انا الخطاف (قال الراوي) فاقبل القوم على الامام وأخبروه بقدم صاحبهم فقال افتحوا له الباب وأدخلوه ولا تمدوا إليه يدا بسوء ولا تكشفوا له عن مكاني ولا تخبروه بشأني فبادروا إليه مسرعين وفتحوا له الباب فوجده على آخر رمق من تعسسه في الظلام بين الدكادك والآجام فلما نظروه قالوا ما الذي دهك أيها السيد وما نزل بك فلم يجبههم ولم يرد عليهم جوابا ولم يبد لهم خطابا دون ان دخل مسرعا وقال يا ويلكم اغلقوا الباب وأوثقوه بالسلاسل والأقفال فقالوا أيها السيد وأين تركت ابن أبي طالب قال تركته وقد شغله عني وعنكم جند المنيع فازدادوا عجباً ثم قال يا قوم لا تستكثروا على مهلا حتى ادخل ويرد علي عقلي فدخل الحصن فانتظر القوم ما يكون منه مع الامام ثم التفت بعض القوم إلى الرغداء بنت الخطاف وقالوا لها يا رغداء ان أباك يكاد يبدو منه شر إلى علي بن أبي طالب فيكون وباله عليك واعلمي يا رغداء ان هذا الرجل لا يطلق من المزاق ولقد سمعت ما صنع بأبيك منا فقالت الرغداء وما عسى ان اصنع في هذا الاله المنيع وجنده عجزوا عنه وعجز عنه الابطال من الرجال والنساء عجزوا عجزا (قال الراوي) ثم تركتهم وتقدمت إلى قرب الامام وهي قابضة على خنجره وأسبلت عليه ثيابها وأضمرت انها تحول بين الامام وبين أبيها وان لا تدع الامام ان يصل إلى أبيها وهي واقفة ترتعد من شدة الغيظ فبينما هي كذلك إذ اقبل أبوها والقوم في اثره حتى اتوا به المكان الذي فيه الامام والمصاييح تزهو حوله وهو يحدثهم بحديث الامام وغرائبه إذ نظر فرأى الامام جاثما كجثوم الأسد الضرغام فحقق الخطاف نظره فرأى الامام فعرفه فجعل كلما ينظر إليه يراه ويمسح عينيه ويعيد النظر إليه فتحققه فلما عرفه توقف عن المسير ووقعت الدهشة به وعاد كالسعة ثم التفت إلى القوم وقال من هذا الرجل الذي هو جالس فقالوا له أيها السيد من معارفك وهو مشتاق إلى لقائك فعند

ذلك وثب إليه على من مكان وثبة الأسد إذا عاين فريسته وقال له انا من لا تنكرني إذا عرفت باسمي انا غريمك ومطلبك واني مشتاق إلى لقائك انا ممزق الكتائب انا ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (قال الراوي) فلما سمع الخطاب كلام علي خرس لسانه وبطلت حركته فهم علي بسيفه وقال له ما ينجيك من سيفي هذا الا قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فعند ذلك تقدمت ابنته إلى علي وأرادت ان تمنعه عن أبيها فنظر إليها أبوها طمعا ان تحميه من الامام لما يعلم من شدتها وشجاعته وقوتها فنظر إليها علي وصرخ عليها صرخته المعروفة فأرغشها وأدهشها بصرخته فارتعشت واضطربت ومالت وكادت ان تسقط إلى الأرض فوق الخنجر من يدها فاستغاثت بعلي وقالت اني أعود برضاك من سخطك يا أبا الحسن اني امرأة ضعيفة العقل واخذني ما يأخذ الأولاد على ولدهم من الشفقة واني سمعت ممن رأى إليكم يقول انكم شفعاء إلى رب السماء والأرض والمنقذون لمن ينزل به الويل والبلاء مهلا فلا تعجل بالنقمة فسمع الامام كلامها فتبسم ضاحكا وزال عنه الغيظ وقال الامر كذلك عفونا عنك فقالت الرغداء يا ابن عم رسول الله أنتم أهل الجود والكرم وحياتك ان حياتك عندي صارت قسما عظيما فامدد يدك فاني اشهد ان لا إله إلا الله محمد رسول الله وأنت ولي الله وسيفه ونقمته على أعدائه فانسر لذلك واما الخطاب فإنه حين أسلمت ابنته الرغداء وعاين ذلك منها التفت إليها وقال لها لا نجوت عن البنات ولا بلغت من المشرات فقال علي رضي الله عنه يا عدو الله وعدو نفسك انظر إلى نفسك وحل ابنتك وتوطا في مجلسك فلست أعجل إليك وعليك ولا اترك لله

حجة الا وأوضحها لديك فالحق كلمتك بكلمتهم يكن لك الذي وعليك الذي علينا (قال الراوي) فالتفت الخطاب إلى قومه وقال لهم ما تكون كلمتهم فقالوا له اتينا قلنا جميعا رجالا ونساء كبارا وصغارا الا الله الله محمد رسول الله فقال الخطاب

يا ابن أبي طالب اني أريد ان تريحني من النظر إليك فاني أكره ذلك فقال له الامام ولم ذلك يا ملعون يا عدو الله وعدو نفسه قال لا ني لا اشهد لك ولا لابن عمك الا بالسحر والكهانة فعند ذلك غضب الامام غضبا شديدا

وبادره بضربة فوقعت على أم رأسه فعند ذلك اطمانت الناس وامنوا فعند ذلك قال يا معشر المسلمين اني تركت أصحابي أريد ان امضي إليهم أبشرهم بما من الله به علينا من فتح هذا الحصن وقتل عدو الله الخطاب فعند ذلك قال القوم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعث من تختاره منا إليهم يؤمنهم ويبشرهم

ثم إن علي دعا رجلا منهم يقال له جابر بن هقيم الباهلي ليعثه فقال لبيك يا أمير المؤمنين اني امضي في حاجتك وأبادر إلى مرادك فشكره على وجزاه خيرا ودعا له ثم قال يا جابر خذ خاتمي معك وانطلق إلى أصحابي واقربهم السلام وبشرهم بما من الله علينا من الفتح والنصر وأمرهم بالمسير معك إلينا في مكاننا هذا ثم قال أسرع بما أمرتك به بارك الله فيك فخرج جابر بن عقيم إلى امر الامام فلما وصل إليهم ناداهم جابر فقالوا من أنت فقال انا جابر بن عقيم الباهلي أرسلني إليكم أمير المؤمنين فقالوا يا جابر أين تركت الامام فقال لهم في الحصن والقوم حوله بعد أن ملكه وسلمت الرغداء الخطاب وجميع النساء فلما سمع أصحاب الإمام ذلك كبروا ثم ظهر لهم تكبير الفرح وفرحوا به فأمرهم بالمسير فساروا إلى أن اقبلوا على الحصن فنزل إليهم جميع من بالحصن فاستقبله الامام وسلم عليهم وعانق بعضهم بعضا وفرحوا باسلامه فلما اختلط الظلام دعا بجابر بن عقيم وأمره على مائة رجل يأمرهم بحفظ الغنائم وامر القوم كلهم بالمسير معه فقالوا سمعا وطاعة يا ابن عم رسول الله ثم اخذوا في اصلاح شأنه وجهزوا سلاحهم وتقلدوا سيوفهم واتوا الامام فهم بالمسير ثم سار الامام رضي الله عنه وأصحابه إلى صحن الصخرة وقد طلب له المسير فالتفت إلى القوم وقال يا معشر الناس ان أمرنا قد شاع في الحصون ولا بد ان تأتينا الجيوش فهل فيكم من يأخذ لنا خبر الطريق ويسأل السالكين عن منتهى وحقيقة الاخبار فكان أول من تقدم إلى الامام ناقد بن الملك فقال يا أمير المؤمنين انا إلى ما ذكرت مسارع وتقدمت إليه الرغداء بنت الخطاب وقالت يا ابن عم رسول الله ان البلاد بلادنا ونحن اعرف الناس بها وشجاعتي تعرفها الشجعان وإذا أردت ان ترسلني مع من تريد فافعل ثم انتخب لها الامام عشرة

وامر عليهم ناقد بن الملك فسار ناقد فلما وصل إلى الحصن وجد أهله قد تأهبوا وعزموا على القتال فرجع ناقد ومن معه فلما وصل إلى الامام سأله عن الحال فقال ناقد يا أمير المؤمنين ان القوم في تحصنوا في حصنهم وعزموا على الحرب وتأهبوا للقتال

فانظر يا سيدي ما أنت له صانع فقال الامام إذا أراد الله سبحانه وتعالى بفتحه تهدمت أركانه قال ناقد يا أمير المؤمنين ان في الحصن رجلا شديد القوة كثير الأذى وأحذرك ان يأتيك من أذيته شئ فتبسم الامام وقال يا ناقد سر ثم سار ناقد وأصحابه إلى أن وصلوا إلى الحصن فلما نظر الامام إلى مكنته وعلوه وارتفاعه قال اللهم سهل علينا فتحه ثم إن الامام فرق عسكره كتائب ليكون هذا أهب في قلوب المشركين لايهام كثرة جيوشه

فلما أراد ذلك ارتجفت قلوب القوم الذين هم داخل الحصن وقالوا لبعضهم ما أكثر هؤلاء القوم فبينما هم كذلك إذ يشرف أمير المؤمنين بجميع أصحابه فكبروا ونزلوا ولم يتعرضوا للقوم فما استقر الامام في مكانه حتى أشرف عليهم من الحصن رجل كأنه قطعة من جبل لهوله وعظمه فلما نظر الامام استعظم خلقته وقال تبارك الخلاق العظيم ثم اقبل الامام إلى ناقد وقال له أتعرف هذا الرجل المهول فقال ناقد يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا صاحب الحصن وهو

مصاهر لنا وهو زوج ابنة أينا ومن خوف أبي منه دفع إليه ابنته بغير مهر معجل ولا مؤجل فبينما الامام يسمع كلام ناقد إذ سمع صراخ عدو الله من أعلى الحصن وهو كأنه الرعد القاصف والريح العاصف وهو يناديه يا معشر الجهال وعصابة الأرزال ارحلوا بأنفسكم غانمين وبأرواحكم سالمين فلما سمع الامام مقالته غضب غضبا شديدا فوثب من مكانه وأفرغ عليه لامة حربيه وقبض على سيفه وجحفته وقدم الرعاة الذين هم معه وهم نحو مأتي رام فانفذ لكل جهة

من جهات الحصن وأقرنهم بأمثالهم من الرجال الذين هم بالدورق لكل رجل رام رجل يلقي بدرقته عنه ومال الإمام بمن معه إلى ناحية الباب وقدم الرماة امامه وقدم أصحابه إلى

القتال فتحاربوا بالأحجار فرمى المشركون بالصخور الكبار ورمي الرماة بالنبال

فلما نظر الامام ذلك عظم عليه فتقدم بنفسه إلى الباب وعدو الله يرمي بالأحجار والصخور وجعل الامام كلما وصل إليه حجر تلقاه بدرقته وأرخاه متباعدة عنه وما زال القتال بين الفريقين إلى وقت العصر فعطف الامام بأصحابه وقال حسبكم من القتال فتراجعا الناس إلى أماكنهم وعدو الله وأصحابه يعطفون ويهزئون بهم فعظم ذلك على الامام وبات الفريقان يتحارسان وأضربت النار وتولى الامام حرس أصحابه بنفسه خوفا عليهم فبينما هم كذلك وإذا بشخص قد ظهر في الطريق فتأمله فنزل الامام عن جواده واتي إلى صخرة وجلس مختفيا وراءها حتى وصل إليه ذلك الشخص وصار محاذيا له فوثب إليه الامام وامسكه من رجله ورماه إلى الأرض فقال ذلك الشخص للامام من أنت الذي أوهنت عظامي فقال الامام انا ليث بني غالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلما سمع الشخص باسم علي حرص لسانه فلم تكن الا ساعة والامام واقف على رأسه حتى ردت إليه روحه وفتح عينيه وقال يا ابن أبي طالب سألتك بحق ابن عمك ان تبقي علي وتحسن إلي بكرمك فقد كنت أتقيك وأحذرك قبل ان أراك فعند ذلك عفا عنه الامام وأوثقه كتفا واخذه إلى عسكره فحل وثاقه وقال له يا هذا قل الصدق تنج وإياك ان تقول غيره فتهلك فقال الشخص يا ابن أبي طالب اما قولني فصدق وهو الحق انا اشهد ان لا اله الا الله وان ابن عمك رسول الله والآن فخذ حذرك فقد اتاك عسكر جرار وهم عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس يقدمهم بطل مقدم العشرة آلاف وهو غنام بن الملك الهضام انه لما وصلت إليه أخبارك وما فعلت في حصونه أراد ان يأتي إليك بنفسه فاقسم عليه ولده غنام بقوة المنيع انه يأتي ويقبض عليك ويوصلك إليه حقيرا ذليلا أسيرا فتبسم الامام ضاحكا من قوله وقال له ما اسمك يا هذا قال اسمي القداح بن وائلة فقال له يا قداح أريد منك ان تمضي إليهم في هذا الليل وتجعل لي طريقا معك توصلني إليهم فقال القداح إذا وصلت إليهم يا مولاي ما الذي يكون فقال الامام افتح الحصن واقتل عدو الله كنعان علي يديك فقال القداح ان كنت فاستيقظ فان الذي قتله بعيد (قال الراوي) فوثب إليه ناقد بن

الملك على القداح ونهره وقال له لا أم لك اعرف مكانك واعلم من تكلم فهذا الذي تكلمه فارس الفرسان هذا ليث بني غالب علي ابن أبي طالب فاقصر من كلامك والا رميت بهذا السيف فجزع مما سمع واخذته الرعشة والدهشة من كلام ناقد وغيره فقال الامام يا قداح قد وجب عليك الجهاد في سبيل الله فان أردت ان يمحو الله ما سلف من ذنبك فهب لي نفسك لله ومرضاته في هذه الليلة فقال القداح اني أخاف من القتل وورائي أطفال وليس لهم قريب ولا حبيب ولا أم عجوز كبيرة فإذا قتلت فمن يكون لهم بعدي فقال له الامام لهم الذي خلقهم ورزقهم عليه وانا اضمن لك من الله السلامة فإنه على ما يشاء قدير ثم اخذ الامام مطيته من أصحابه

واقبل عليهم وقال ارتحلوا راجعين على أعقابكم فإذا سمعتم التكبير فأطلقوا عنه الخيل واتوني مسرعين فارتحل القوم من وقتهم وساعتهم فقام الامام وركب مطيته وقال القداح اركب مطيتك فركب القداح وسار والامام معه إلى أن وصل إلى باب الحصن وأحس بهم أهل الحصن فنادى كنعان من الطارق لنا في هذا الليل الغاسق

فجاوبه القداح وقال أيها السيد العظيم انا رسول الله بشارة كنعان وقال لعلك يا قداح جئت من عند الملك قال نعم انه قد اتاك ابنه له عشر آلاف فارس فنزل كنعان بنفسه إلى باب الحصن ليفتحه للقداح ونزل معه جماعة من قومه وقد امتلأت قلوبهم بالفرح

والسرور فتقدم الامام إلى الباب وترك القداح وراءه لأنه سمع المفاتيح عند افتتاحها فقبض بسيفه وطال وقوفه على الباب فلم يفتح وكان السبب في ذلك أنه لما وصل عدو الله إلى الباب ومن معه وأراد ان يفتحه بنفسه من شدة الفرح ظهر له إبليس فلما نظر القوم شخصوا نحوه وذهلوا من منظره فأتى إلى كنعان واخذ المفاتيح من يده وولى راجعا وأشار إلى القوم ان يتبعوه إلى الحصن فلاحقوا في اثره فلما بعد عن الباب قال يا ويلكم انا رسول المنيع جئت إليكم لا نظر ماذا تصنعونه بأنفسكم حيث أردتم ان تسلموا حصنكم إلى علي ابن أبي طالب بلا قتال ولا نزال فقال كنعان أيها الرسول الكريم وأين علي بن أبي طالب فقال ها هو واقف على الباب مع القداح من حزبه ومن أهل دينه وقد ساقه إليكم

ليهجم عليكم فاندعش القوم من ذلك (قال الراوي) فلم يشعر الامام حتى نزلوا عن
يمين

الباب وعن شماله وبأيديهم السيوف والجحف وجعلوا يتصارخون بالامام فاخذ عليهم
الامام محاذيا إلى الباب فلم يترك أحد منهم يخرج إليه وناداهم بعلو صوته يا معشر
اللئام

لقد أخطأكم الامل فانا علي بن أبي طالب قاطع الاجل فوثب اللعين كنعان وعدو الله
مداعس ومن معهم وكان كنعان معه جحفة منجية وهو واثق بجحفته وقوة ساعده
فتقدم

إلى الامام وضربه ضربة شديدة فأخذها الإمام علي جحفته ثم عطف عليه الامام وضربه
بسيفه فتلقاها عدو الله بجحفة فقطع السيف فلما وصل إليه من الجحفة ورمها
ولو ملكته لأهلكته وكان كنعان واثقا بها متمكنا منها

فلما رأى عدو الله ذلك من الامام اقبل على قومه وقال يا ويلكم
ادفعوه حتى يبعد عن الباب إلى الخلاء ليتسع عليكم الفضاء وتملكوا أنفسكم فطلع
من داخل من داخل الحصن أعلى الصور وأرسلوا عليه الصخور والجنادل
من أعلى الباب فنزلت عليه كالمطر فتأخر الامام عن الباب لهول ما لحقه
(قال الراوي) فعند ذلك فرح الامام فرحا شديدا حيث خرج عدوا الله مداعس

وخرج والده كنعان في اثره ومن كان معه من الرجال ولم يبق في الحصن الا القليل ثم
امر اللعين كنعان بغلق الحصن وايقظه من وراء القوم ثم نادى الامام برفيع صوته
يا شريحيل دونكم والقتال فان شئتم فواحد لواحد وان شئتم فكلكم لواحد برفيع بعث

ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ما انا براجع عنكم حتى
أشبع الوحوش والطيور من لحومكم الخبيثة وانا واحد واثق بواحد فهو على ما يشاء

قدير وبالاجابة جدير اما تعرفوني انا ممزق الكتائب ليث بني غالب أمير المؤمنين
علي ابن أبي طالب فقال له كنعان لولا يكون علينا عار لهجمنا عليك بكليتنا وانما
يبرز إليك واحد منا قال الامام رضي الله عنه يا عدو الله ورسوله وعدو نفسه افعل

ما بدا لك وما تريد (قال الراوي) فعند ذلك تقدم رجل من المشركين يقال له
سباع إلى عدو الله كنعان وقال أيها السيد أنت تجود لي بلبسة وما عليه من الثياب
والعدة

والسلاح وانا آتيك به أسيرا ذليلا حقيرا فقال كنعان لك ذلك يا سباع وحق

المنيع الاله الرفيع لئن آتيتني با بن أبي طالب لأزيدنك علي الذي قلته بأكثر فعند ذلك خرج سباع من بين المشركين فرحا مسرورا وظن أنه يغلب الامام ويأسره وجعل يرتجز وينشد يقول

الق سلاحك يا غلام وآتني * من قبل ان تردى بحد حسامي
(قال الراوي) فلما سمع الامام ما قاله سباع تبسم ضاحكا وقال ها انا مقبل إليك وواقف لديك فقال له أسرع لنحوي فجاء الامام إلى نحوه فظن عدو الله سباع ان الامام سلم نفسه إليه حتى يؤسره فتقدم سباع وهو يظن أنه قادر عليه فلما عدو الله سباع وثب إليه الامام كأنه أسد إذا عاين فريسته وضربه ضربة على رأسه بالسيف فشقه السيف نصفين ونزل عدو الله إلى الأرض قطعتين فعند ذلك التفت الامام إلى كنعان وقال له يا عدو الله وعدو نفسك دونك والقتال فقد مضى صاحبك إلى الناس وبئس القرار فلما رأى مداعس بن كنعان ذلك من الامام تقدم إليه وجعل ينشد ويقول

انا الفتى المشهور في الفوارس * انا الهمام الضيغم المداعس
انا ابن كنعان المسمى يا فتى * انا مبيد البطل المحارس
انا الذي أحيا ليوم كريهة * وخائض الغمرات في الغلامس
(قال الراوي) فلما سمع الامام كلام مداعس تبسم ضاحكا وقال يا ابن كنعان دونك والضرب والطعان فانطلق إليه ومال نحوه فلما اتاه وثب إليه الامام وثبته المعروفة فوصل بها إليه وقبض بكلتا يديه ثم ضم الجواد إليه ليقلبه عليه فأيقن مداعس بالهلاك واخذ الارتباك فصاح من شدة ما اصابه يا ابن أبي طالب بحق ابن عمك الا ما أبقيت علي وأحسن بكرمك إلي فمد الامام يده وقبض عليه من سرجه وامسك رأسه وأوثقه كتفا بعمامته وقاده فرسه إلى صخرة هناك ورماه ثم ركب جواده وتقدم على مهل من غير طيش ولا عجل إلى أن اتى القوم وقال يا نسل اللئيم هل فيكم من يبرز إلى القتال ويبادر للنزال فناده يا ابن أبي طالب كن مكانك فاني قاصد إليك وهاجم عليكم ثم برز عدو الله كنعان وكان نسيم السحنة وبدت غره

القمر مع أنه كان في آخر الشهر فنظر الامام إلى كنعان وهو كأنه الليث الجحود وهو راكب على برزون اشهب من البرازين العظام مهول لعظم خلقتة فلما تقاربا نادى عدو الله كنعان يا ابن أبي طالب وطالت ولدي مداعس فقال علي قد كان ذلك وأنت الآخر إن شاء الله تعالى فقال كنعان قتلته أم لا قال له الامام انما هو بقبضتي أسير فقال كنعان يا ابن أبي طالب لو كنت ما أبقيت عليه ما أبقيت عليك ولقد كنت أضمرت اني لا أمتعك بالحياة بعد طرفة عين واعلم يا ابن أبي طالب انه ما ثم مخلوق على وجه الأرض يقدر علي وليس له طاقة بي فسلم نفسك قبل ان ينزل بك الضمار ويحرقك الاله المنيع بالنار فلما سمع الامام ذلك حمل عليه وضربه بجحفته على رأسه فنزل هاويا إلى الأرض مغشيا عليه وقد اندق منخره في الأرض فبرك عليه كأنه الأسد وأوثقه كتافا ثم تركه على حاله وعمد إلى القوم فكان يقول للرجل قل لا الله الا الله محمد رسول الله

والا قطعت رأسك هذا الحسام فمن اطاعه تركه ومن خالفه هلك فعندما رأى القوم ذلك تصايحوا الأمان الأمان يا ابن أبي طالب وأشرف من كان في أعلا الحصن من الرجال والنساء على قوم الامام وقالوا لهم انا نسألکم ان تأمنونا من امركم هذا ونحن مطيعون له فيما يأمر به ففرح أصحاب الإمام بذلك وزال عنهم الحزن والقلق وسمعوا الامام يقول يا قوم لا أمان لكم عندي حتى يكتف بعضكم بعضا فلما سمعوا ذلك أقبلوا على بعضهم وأوثقوا أنفسهم عن اخرهم وأقبلوا إليه أسارى فجمع أسلحتهم عنده ولم يبق في الحصن معاند ولا منازع غير النساء وهن خائفات واجلات مذعورات لما رأوا من الامام وهالهن ذلك ثم إن الامام امر من كان أسلم في القتال ان يمضي إلى النساء وان يوثقهن كتافا فمضى إليهم جماعة ففعلوا ذلك ثم إن الامام اقبل على عدو الله كنعان وكان قد أفاق من غشيته وهز السيف في وجهه فقال يا ابن أبي طالب قل ما أنت طالب وعليه عازم فقال له الامام يا كنعان قل لا إله إلا الله محمد رسول الله تكن لنا ولك السعادة والنجاح وإياك ان تنكرها فيحل بك البلاء الفضح وتخرج روحك من جسدك كخفة البرق إذا لاح فقال يا ابن أبي طالب ومن

ينقضني من نار المنيع وسطوته فقال له الامام يا ويلك ان المنيع قد ولى زمانه وحن هوانه واتى بواره وقرب دماره فلم يمهل الامام وقد اشتد به الغضب دون ان يضربه ضربة هاشمية محمدية فوقعت الضربة على عاتقه الأيمن فخرج السيف من تحت إبطه الأيسر فوقع عدو الله كنعان واقبل بها إلى الباب ففتحه وظهر بها إلى القوم فوجدتهم قد أفنوا من عندهم من المشركين ولم يبق الا من قال لا الله الا الله محمد رسول الله وصفا وقت عشيهم في انتظار ان يخرج إليهم الامام عدو الله ورأس كنعان في يده وفرحوا ثم إن علي قال لهم يا قوم أين مداعس بن كنعان فأقبلت إليه الرغداء بنت الخطاف وقالت يا سيدي انه لحق بأبيه إلى النار وبئس القرار فشكرها علي ذلك وجازاها خيرا ثم إن علي امر القوم بدخول الحصن فدخلوا والامام في أوائلهم وهو يقول فتح الله ونصر الله وخذل من كفر ثم بعد ذلك أمرهم باحضار الأسارى فاحضروا بين يديه فامر بحل كتافهم فحلوهم (قال الراوي) ثم إن علي أراد ان يرتحل من ذلك الحصن فاقبل عليه ناقد ابن الملك وقال يا ابن عم رسول الله اني أريد ان أسألك عن امر فان كان فيه معصية فاني أتوب إلى الله سبحانه وتعالى منه وان كان فيه سماح فاسمح لي فيه فقال له الامام وما ذاك يا ناقد فقال يا أبا الحسن روجي لك الفدا ان لي في المأسورات من النساء التي هن في الحصن مأسورة المنى أسرها وها هي الامن بنات الملوك والعز والدلال كانت مقيمة تحت ذي الضلال وهي ابنة أمي وأبي أعز الخلق عندي ان الولد مولود والبعل موجود والأخ مفقود وهممت ان أحاطبها لأدعوها إلى ما دعوتنا إليه من هذا الدين البهي والاسلام النقي فان أردت ان تأذن لي في ذلك فالامر إليك فقد كبر علي والله ما نزل بها فعند ذلك تغرغرت عين علي بالدموع وقال يا ناقد امض إليها فأنت أملك بها

وأحق فتلطف بها وشوقها إلى الاسلام وعبادة الملك العلام فخرج ناقد من القوم وسار إلى أخته

وكانت اسمها عليا فلما اقبل عليها وهي في جملة المأسورات صعب عليه ذلك فعزت عليه فامسك

عن السلام فلما نظرتة أخته من بين المأسورات بكت واشتكت وتنهدت وقالت يا أخي تنساني في مثل هذا الوقت فتتركني مطروحة بين الأسارى وما عرفت منك الجفاء منذ حياتي فعرفني يا أخي ما أنت عليه حتى اتبعك ولو كان فيه ذهاب روحي (قال الراوي) فلما سمع ناقد كلام أخته عليا سبقتة العبرات فبكى وقال لها يا أختي ان شئت يا بنت أمي وأبي ان تسريني باسلامك وتقري بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وان أبيت فهذا فراق بيني وبينك فلما سمعت عليا مقالة أخيها قالت

يا أخي وقرّة عيني اني كرهت مفارقتك وانا مسرورة بطاعتك وانني قائلة بمقالتك ان لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فعانقتها ناقد وضمها إلى صدره وفرح باسلامها ثم عرض الاسلام على النساء التي معها فأسلمت ففرح ناقد فرحا شديدا ثم مضى إلى علي وأخبره بذلك ففرح باسلامهن وأقرهم الجميع في منازلهم واجتمعوا على الاسلام بعد الاجتماع على الكفر وفرحوا فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم إن علي ضم الغنائم إلى الحصن وأمر علي على الحصن أميرا وأوصاهم بحفظه وحفظ أنفسهم

إلى أن يأتيهم ثم ارسل رجلا ينظر خبر الجيش الآتي مع ابن الملك الهضام فسار الرجل غير بعيد ثم رجع إلى علي رضي الله عنه وأخبره ان القوم وابن الملك قد اتوا إليه وزحفوا عليه وهو في عشرة آلاف فارس ليوث عوابس قد انتخبهم من مائة الف فارس فقال علي نلقاهم قبل ان يلقونا فان ذلك أهيب لنا والله المعين ينصر من يشاء من عباده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ارتحل من وقته وساعته وسار بعد أن بغله الله ما أمله ثم سار بالقوم مؤيدا منصورا فما بعد عن الحصون غير ميل واحد أو أزيد حتى لاح له غبار قد سد الأقطار فالتفت الامام إلى أصحابه وقال لهم يا قوم اني أرى عاكرا ولا شك انه غبار القوم وانني أرى ان نكشف عنهم الاخبار فما أنتم قائلون فقال ناقد يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء من وراءك والذي أراه من الرأي ان ترجع بالقوم إلى المكان

الذي كنا فيه غير فرار ولا جزع فتكون من ذلك على حالتين إحداهما كثير الماء وسعة الفضاء والثانية تجمع الرجال والأثقال وجميع ما معك وتدخلة الحصن وتخرج للقاتهم

مجردا بلا عائق وهذا الذي أراه ورائك أعلى وأوفق فقال له أرشدك الله يا ناقد ووفقك إلى الخير ثم قال للقوم ارجعوا بنا على بركة الله وعونه وحسن توفيقه فرجع القوم إلى حصن الصخر وادلجوا رحالهم وثقالهم وجميع ما معهم ونادى علي يا معشر الناس من علم من نفسه تقصيرا وخاف من جواده أو كان له عذر يمنعه من القتال فليجلس في هذا الحصن فمن يحل فيه ما عليه ملام فلقد اتانا فوارس وابطال فنتلقاهم ببوادر النزال ثم إن علي طاف على القوم يتفقدهم رجلا رجلا فكان لا يمر بشيخ ولا طفل ولا أحد ممن لم يقدر على القتال الا أدخله الحصن فما زال كذلك إلى أن مر بالقداح بن وائلة وقد اشتد وتحزم واخذ في الصلاح فلما نظر علي تبسم ضاحكا وقال له يا قداح عليك بالحصن ولا تزال عنه فقال القداح لعلي رضي الله تعالى عنه والله يا سيدي ما نديت بالاسلام ديننا فلا تقعدني مع النساء وانا معروف بمبارزة الشجعان ومبارزة الفرسان فقال علي يا قداح هل لك ان تمحو ما قدمت وما نزل من بلائك وأسلفت فقال نعم يا سيدي انا بين يديك امرني بما شئت فجزاه علي خيرا ثم قال يا قداح انه ليس فينا أحد أقرب عهدا منك بالقوم وانهم قد أرسلوك رسولا لله حصن وتعود إليهم برد الجواب فهل لك ان تسير إليهم وتحديثهم بكلامك فينا وتذكر لهم انك لم تر لنا خيرا ولا اثر أو تبلغهم انك سمعت اننا ما وصلنا إلى صاحبهم فاقتله وان بعد عليك ذلك فاهد يسير القوم إلينا وهذا المكان يجمعنا

فإذا نزل القوم واطمأنوا فيها نحن جميعا نفتح الباب في أقرب وقت ونخرج إليهم وهم على غير إهبة ويفعل الله ما يشاء ويختار فلما سمع ذلك القداح أطرق برأسه إلى الأرض ساعة ولم يرد جوابا ولم يبد خطابا فقال يا أمير المؤمنين ما أراك الا تقدمني في المهالك انا ما أصلح الا للحرب والنزال والمبارزة والقتال ولست أصلح للمراسلة ولا المكاتبة فان أردت ان تعفو عني من هذا الحال وترسل إلى هذا الامر غيري

من الرجال فدعني أكون امامك وبين يديك أقاتل من قاتلك وأعادي من عاداك فقال له الامام يا قداح ان اتكلت على نصرتك فانا العاجز المؤبد لك أتخشى من قوم فارقتهم البارحة وقد اتعنوا على سرهم ولا يضرك ان تعود إليهم وتذكر ما أمرتك به فقال القداح يا سيدي فإذا انا فعلت الذي امرتني به وخذعت به القوم وسقتهم إليك ثم ظهرت أنت من الحصن رجالك وأبطالك فيعلم عند ذلك القوم ان مبتدأ الامر والمكر والحيل مني ومنتهاه إلي فيحملوني على أطراف الأسنة ثم يقطعوني قطاعا فما أظنك الا وقد كرهت مكاني وتريد ان تبعثني لهلاكه فيتسم الامام من كلامه وتضاحك جميع أصحابه فقال الامام اللهم ارزقنا عفوك يا ارحم الراحمين ثم اقبل على القداح وقال له يا ويلك اما يؤمنك منهم بعون الله طول ناعي وهجمتي واسراعي فيشغلون بي عندك لأنني إذا نزلت في بيت فيه رجال شخصت أعينهم إلي ورجفت قلوبهم هيبة من الله عز وجل ألقاها الله في قلوبهم فسر إلي ما أمرتك به فإذا سرت فقل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعند ذلك نهض القداح إلى القيام فاقبل وهو لا يريد القيام فأقبل إلى مطيته فشدّها واستوى راكبا ثم التفت إلى الامام وقال يا أبا الحسن ها انا ماض لأمرك فإذا رأيت القوم قد تبادروا إلي وعطفوا علي بأسلحتهم فلا يشغلك عني شاغل ولكن بأسك إلي واصلا وأبدأ بخلاصي قبل ان تبطش بهم فقال له الامام لك علي ذلك يا قداح امض وتوكل على الله فتوجه القداح سائرا فلما ولى تبسم الامام وقال لقد أعطاك الله يا قداح من الجبن نصيبا يا ويلك فلو كان لك قلب لكنت رجلا عظيما وجعل الامام يكررها مرارا ثم إن الامام التفت إلى أصحابه وقال معاشر الناس لا تزالوا في أماكنكم حتى تنظروا ما يكون من امر صاحبكم القداح فاني أراه جبانا والجبن أقبح شئ (قال الراوي) وما زال القداح سائرا إلى أن أشرف على القوم وهم سائرون نظر إليهم القداح حدث نفسه بالهروب ولكنه ثبت قلبه وقال والله اني لأحمل نفسي على المهالك ثم حرك مطيته إلى أن وصل إلى القوم فتبادرته إلى نحوه الرجال وتأملوه فإذا هو القداح رسول الملك ففرحوا بقدمه ثم سألوه عن

حاله وعن خبره فلم يبد لهم جوابا فتسارع القوم إلى صاحبهم غنام بالبشارة
بوصول القداح إليه ففرح غنام بذلك وقال وحق المنيع لأطآن ابن أبي طالب
ولو أنه وصل إلى مكانه بمكة لأسوقه إلى المنيع سوق الذليل ثم همز جواده
إلى أن وصل إلى القداح ثم ناداه يا قداح ما وراءك وما لذي سمعته من الخبر فقال
يا سيدي سمعت سمعت الخبر فقال غنام وما ذاك يا قداح فقال يا سيدنا وابن ملكنا
الناس

قد صبوا هذا الغلام من خوفهم منه حتى اني سألت النساء والصبيان فوجدتهم
لا يتحدثون الا بحديثه ومقاله انه خرج من مدينة يثرب وحيدا فريدا وها
هو قد جمع معه عسكر جرار عظيم بغير عطاء ولا وقد كأنهم كانوا لا يدري
أين كانوا والموت بين يديه سائر وقد فتح حصن الوجيه وسار إلى حصن
الرافق وهو الان نازل بجيوشه وقد تركت أهل حصن الصخر حافظين له وقد
أظهروا سلاحهم واعدوا للحرب مع ذلك الجيش وقد زاد الأرق وكثر القلق
واني لما بشرتهم بقدمك عليهم اطمانت قلوبهم وقد بلغني ان ابن أبي طالب
سائر إليهم فقال غنام يا ويلك ما فعل بكنعان الذي كان يروع الوحوش والنساء
في الأوطان والرجال في كل مكان فقال القداح وأين كنعان وحق أبيك انه
قد شغله عنك وعنهم شاغل ولا شك انه قد ولي وهو راحل فقال له غنام
يا ويلك ما هذا انه نزل به الموت العاجل فصفق غنام بيديه ثم قال له يا قداح
بشر بالخير فما فعل بولده مداعس فقال القداح وحق المنيع ان مداعس أدركه
ما أدرك إياه فقال له يا ويلك يا قداح لا رجعت إلى أهلك سالما يا ملعون فما لحقنا
من ردك خيرا فهل طرقيهما الموت جميعا ووصل إليهما سريعا فقال له القداح يا سيدي
سنخبرهم وتري ما حل بهم فاعرض عنه بوجهه وقال له صرف وجهك
عني فقال القداح سمعا وطاعة لقد سألتني عن امر فلم أقدر اكنم عنه شيئا ولم
يزل غنام سائرا بقومه إلى أن قرب إلى حصن الصخر فقال جنبل بن ركيع
جاء والله يا أبا الحسن عسكر جرار وقد لاح والله لمعان سيوفهم واني يا سيدي
أرجو من الله ان يكونوا غنيمة لنا وكان صاحبنا القداح قد ساقهم إلينا
وهدن علينا ثم إن الامام امر الرجال والأثقال إلى داخل الحصن

وان يدخلوا الخيل والرجال والجمال وكان ذلك الحصن كبيرا واسعا يغيب فيه
العسكر الجرار ولا يرى له آثار فلم يبق أحد خارج الحصن ودخل الامام
وأغلقوا الباب فلما استقر القوم في الحصن اقبل إليهم وقال يا معشر الناس ان
القوم أضعافكم مرارا وقد بلغهم صاحبهم غنام انه افتك اخوته وأبطشهم يدا
وأكثرهم بأسا واني عزمت ان أقدم بكم إليهم وأهجم عليهم إن شاء الله سبحانه
وتعالى فانظروا امامكم وإياكم ان تبقوا على أقاربكم وعشائركم وان كبر عليكم
فلك فلا تستعينوا بالمخلوقين واستعينوا بالله رب العالمين
(قال الراوي) ثم إن الامام قبل على من أسلم من أهل الحصن وقال لهم كونوا
في أعلى حصنكم فان خاطبكم غنام فخاطبوه وأظهروا له السيادة واسألوه النزول
عندكم فيزل عنه الشك فقالوا حبا وكرامة ثم التفت الامام إلى جنبل بن ركيع وقال
له كن خليفتي على من في الحصن حتى ارجع إليك إن شاء الله تعالى فقال له جنبل
وحق ما اعتقده من حبك وولائك ما كنت الا معك وبين يديك املى أحظى
بالسعادة واغتتم الشهادة فشكره الامام على ذلك ثم أقام مكان خالد بن الريان وتقدم
أمير المؤمنين وقال لأصحابه انا خارج امامكم في نفر قليل من قومنا لأننا إذا
خرجنا جميعا نخشى ما يفوتنا ما عزمنا عليه ويعد عنا ما أملناه ويستيقظ القوم
لنا فقالوا له يا سيدنا ومولانا افعل ما بدا لك فدعا الامام بناقد وجنبل والرغداء
وغيرهم من الابطال المعروفة بالشجاعة فاقبلوا إليه ووقفوا بين يديه وقالوا له
أؤمرنا بما تريد فقال علي يا ناقد ان أنت وصلت إلى أخيك غنام فلا تياس عليه
ولا تمدد يديك إليه بسوء واثنتي به أسيرا وإياك ان تأخذك لومة لائم في الدين فكن
فيمن ذكرهم الله واثنى عليهم لما انهم عادوا في الله آباءهم وأبناءهم وعشيرتهم
فلما سمع ناقد ذلك تبسم وقال يا سيدي وحق ابن عمك محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم
ان غناما أشد مني بأسا وأقوى مراسا ولا أطيقه في الحرب ولكن انا واثق بالله
تعالى ومتوكل عليه فقال الامام يا ناقد قل لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ثم إن الامام امر أصحابه ان يرتحلوا وقالوا يا معشر الناس إذا رأيتمونا قد
فاشجا القوم بالحرب فأتونا بخيلنا مسرعين فبينما الامام كذلك وهو يوصي

أصحابه سمع صهيل الخيل وصياح الرجال عند نزولهم وقد ارتجت بهم الأرض فقال الامام يا ناقد قد ظهر السرور والفرح فنظر إليه ناقد وهو مبتسم ضاحك فقال يا سيدي هؤلاء الجيوش قد ارتجت الأرض لكثرتهم فقال لا يهولنك ذلك فان الله تبارك وتعالى معنا لا يخفى عليه من أمرنا مثقال ذرة هو معنا أينما كنا وهو القادر عليهم بقدرته ينصرنا عليهم إن شاء الله تعالى قال ناقد يا سيدي لا أفلح شانيك ولا خاب مواليك فشكره البطل الآمال قال يا ناقد اني متشوق إلى الضرب أشوق من الضمان إلى الماء البارد فنزل القوم وامتدوا بالوادي فملأوا الأرض بالطول والعرض ونصبوا الخيام والمضارب فلما استقر بغنام الجلوس ولم يستقبله

أحد قال بن القداح بن وائلة فنودي به فاتي إليه ووقف بين يديه فقال له غنام يا قداح ما كان فيهم من يستقبلني ويخرج لي قبل وصولي إليهم فقال له القداح يا سيدي ان خوف بن أبي طالب قد تمكن من قلوبهم فيخشوا من حيلة تقع بهم فبينما هو يخاطب القوم وإذا بباب الحصن قد فتح وخرج منه الامام مسرعا ومعه قومه وقد تركوه مفتوحا وتقدم أمير المؤمنين وهو غير مكترث بهم إلى أن اخترق عسكر غنام ووصل إليه فوجده جالسا ومن حوله أكابر قومه القداح باذائه وغنام يحدثه فلما نظر القداح إلى الامام اصفر لونه وتأخر إلى ورائه فبقي غنام يحدثه وهو يقول يا ويلك قد اتاك الليث الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم أشهر سيفه وفعل أصحابه مثله وكبر الامام وكبر أصحابه الذين معه وسمعهم الذين الحصن فكبروا واطلقوا لهم الأعنة وقوموا الألسنة فلما نظر غنام ذلك اندهش وحرار وذهل ونظر أمير المؤمنين وقد يعلوه بالسيف فصرخ صراخا كبيرا منكرا فانكب عليه أصحابه من كل جانب ليمنعوا عنه الامام فلم يكبر ذلك على الامام وهو غير مكترث بهم بل صار يضرب يمينا وشمالا فيقطع بحسامه الدروع السائرة والبيض العادية فان ضرب طولا قد وان ضرب عرضا قطع فبينما القوم كذلك إذ خرج من عساكر المسلمين غلاما أمرد رشيق إلى جيش غنام وحمل عليهم فتأملوه فإذا هي الرغداء بنت

الخطاف فأدركها وجازاها خيرا وأمرها بان ترجع وقال لها نحن نكفيك هذا الامر بأنفسنا ثم اقبل ابن الملك إلى الامام رضي الله عنه وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عزمت على كشف القناع وأريد ان أقدم إلى أخي بالانذار فعسى

ان يصلح إلى من شأنه وشأن من معه فقال الامام لا أمنعك من ذلك اخرج على بركة الله تعالى ورسوله وحسن توفيقه

(قال الراوي) فتقدم ناقد إلى أخيه ونادى برفيع صوته يا أخي قد ظهر الحق لطالبه وخسر صاحب الباطل في مذهبه قد ذهبت دولة الأصنام وجاءت دولة الاسلام وعبادت الملك العلام وظهر دين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم نادى أخاه

غناما وقال له مثل ما قال لأخيه فلما سمع غنام ذلك من أخيه ثار بالغضب واخذه الغيظ والحنق فقال لقومه هذا أخي الضال فإذا رأيتموني وصلت إليه فسارعوا نحوي عاجلا فقالوا

له سمعا وطاعة ثم خرج من قبل المعسكر وهو ينشد يقول
لبيك أنت أخي ان كنت منقذي من الهلاك منجيني من النار
لبيك يا ابن أخي ان كنت مسعدني فالسعد انجلي لي من ظلمة النار
بادر إلي وخلص مهجتي ودمي من المهالك واسمع بث أسراري
(قال الراوي) فلما فرغ غنام من شعره اتى نحو أخيه بغير عدة ولا سلاح
فلما رأى ناقد أخاه وهو على تلك الحالة لم ينكر شيئا من امره فدنا منه ليعانقه
ويستعطفه فلم يمهل غنام دون ان دكى بجواده ثم دخله وعاقصه وضرب بيده بيده
على أطواقه وسحبه إليه فاقتلعه من سرجه

فلما رأى المشتركين من غنام وقد اقتلع أخاه ناقد من بحر سرجه اتوا إليه
مسرعين مسرورين حيث اخذ ناقد من المسلمين فلما اخذه غنام أوثقه كتافا وسلمه إلى
أصحابه فمضوا به إلى عسكرهم فلما رأى الامام من المشتركين لم يمهلهم دون ان
حمل عليهم وحمل معه أصحابه ومالوا على المشتركين فحمل غنام وحمل معه أصحابه
ومنعوا الامام وأصحابه الوصول إلى القداح وناقد ولم يزالوا كذلك إلى أن اقبل
فافترق القوم ورجع كل فريق إلى أهله وقد حزن المسلمون لفقد ناقد بن الملك

حزنا شديدا ورجع الامام وهو يفور بالغضب وقال والله لا اكلت طعاما في ليلتي حتى انظر ما يكون من امر أصحابي ناقد والقдах فلا صبر لي عنهما (قال الراوي) ثم امر الناس باضرام النار وزيادة الحرس وجعل الامام يطوف من حول عسكره يحرسهم بنفسه وهو قلقان على ناقد والقдах فبينما الامام يحرس أصحابه إذ سمع

هفيف الخيل وسمع صوب غنام وكان قد أثبت معرفته فلما سمع حسه اهتز فرحا وسمعه يقول لأخيه يا ناقد اما زعمت أن لك صاحبا بخصتك ومن الشدائد ينقذك فمالي أراه متباعدة عنك وللمهالك سلمك وناقد يقول يا ويلك ان لي صاحبين صاحب في السماء يراني وهو الكبير المتعال وصاحب في الأرض لو علم بمكان لأتاني وخلصني من سجنك وسمع القдах يقول لا آخذ الله من أوقعني بالخلاص وعدني وضمن لي السلامة من كل شيء يؤلمني وما زالوا كذلك إلى أن قربوا من الامام وغنام في أوائلهم فوثب الامام وثبة وصل بها إلى عدو الله غنام وقال له اقلل من الكلام فيها انا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فسمع القдах صوته فصاح يا سيدي سألتك الا ما خلصتني قبل صاحبنا ناقد فقد عملت ما نزل بي اجلك وكان الامام لما وثب إلى عدو الله غنام ووصل إليه مد يده وقبض على أطواقه وسحبه فاقتلعه من سرجه وقال له قد خلص أخاك صاحبه الأصغر بأمر سيده الأكبر فمن ينقذك مني يا ويلك وهم ان يعلوه بالسيف فقال له يا ابن أبي طالب ابق علي كما أبقيت

على صاحبك وأحسن إلي بكرمك (قال الراوي) فتقدم الامام إلى ناقد وحله من وثاقه وأمره ان يشد أخاه غناما شدا وثيقا وتقدم إلى القдах وحله والعشرة ابطال الذين اتوا معه ينظرون إلى فعل الامام فما جسر أحد منهم ان يتكلم فلم يستطيعوا لن يتحركوا من أماكنهم فقال لهم الامام من قال منكم لا الله الا الله محمد رسول الله فلا أمد يدي إليه الا بالخير ومن لم يقلها مددت يدي إليه وقطعت رأسه بهذا السيف فقالوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا إله إلا الله محمدا رسول الله ففرح الامام باسلامهم فرحا شديدا ثم اقبل إلى غنام وقال له هل لك في كلمة تقولها تمحوها بها ما سلف من ذنوبك فقال غنام يا ابن أبي طالب وما هي الكلمة التي أقولها فتمحي

به ذنوبي فقال الامام تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وتقر الله بالوحدانية ولمحمد
ابن عمي

بالرسالة فقال غنام يا ابن أبي طالب هذا شيء لا افعله ابدا وما انا بتارك دين
آبائي وأجدادي ولو قطعت إربا واعلم انك لم تكن من رجالي وانما أخذتني
غضبا وغدرتني ولو كنت لك في الميدان لبعد عليك ما أملتة ولا كنت ملكنتني
(قال الراوي) فعند ذلك وثب الامام فحل وثاقه وهو يتململ من شدة غيظه
ورمى إليه سيفه وجحفته واشتد غضب الامام غضبا وقال لغنام يا عدو الله وعدو
نفسك خذ

سيفك وجحفتك واشتد ومانع عن نفسك فقال يا ابن أبي طالب القتال أتحسبني
كغيري من

الرجال فلما سمع ذلك الامام غضب غضبا شديدا وقال يا عدو الله لقد تجرأت في
قولك فاعتزل إلى ناحية أخيك لئلا يهوله بك يا عدو الله وعدو نفسك ثم إن الامام
جذب سيفه

واخذ غناما واعتزل عن القوم ثم فاجأه مفاجأة الأسد لفريسته وضربه بالسيف ضربة
هاشمية

علوية فتلقاها عدو الله واستتر بجحفته على رأسه فنزل السيف على الدرقة فقطعها ونزل
على

رأسه من بين فخذه وتجدل طريحا يخور في دمه وعجل الله بروحه إلى النار فكبر
الامر

عليه واخذ ما كان عليه ودفعه إلى أخيه ناقد وسر علي بقتل عدو الله فقال ناقد يا أبا
الحسن ما

فعلت بعدو الله غناما قال يا ناقد انه صار إلى النار فلا تأسف عليه فإنه ليس بأخيك ثم
اقبل على

القداح واخذ ما كان عليه وقال له يا قداح كيف رأيت نفسك قال يا أبا الحسن
خلصتني بعد

الياس من الحياة والاشراف على الموت فقال له علي يا قداح ان الله قد أنقذك من
الموت

وان شئت فارجع إلى أهلك ودارك مصاحبا بالسلامة فقال القداح يا أبا الحسن
وكيف امضي وأهلي ودياري وقد أنالني الله ما لم ينله أحد من قومي قولا
امضي حتى اخذ من الغنائم ما يسرني وأسد به فقري وأوسع منه على أهلي وينشرح
به صدري (قال الراوي) فتبسم الامام رضي الله عنه ضاحكا من قوله وقال له
يا قداح لأعطيتك من الغنائم ما يسر قلبك ويعني فقرك وترجع مجبورا إلى
أهلك إن شاء الله تعالى فقال القداح يا أبا الحسن هذا من فضلك وكرمك فعند ذلك

عطف علي إلى عسكره وهو مسرور بالقوم وخلص أصحابه واخذ ما كان

(٨٠)

وقتل عدو الله غناما فلما أتوا إلى عسكرهم في ساعة واحدة وقد مضى من الليل شطره وقد كان أصحاب علي تفقدوه في الليل فلم يجدوه فكبر ذلك عليهم فلما وصلوا إليه ونظروا إلى ناقد والقдах والعشرة الذين أسلموا من جماعة غنام مع علي وقالوا له يا أبا الحسن هؤلاء القوم ما هؤلاء عصابة مالت إلى الاسلام ورغبت في الايمان ففرح القوم بذلك وباتوا بقية ليلتهم فلما برق ضياء الفجر اذن علي وصلى بالناس صلاة الصبح فلما فرغ من الصلاة ناداهم يا قوم خذوا آلة حربكم واستعدوا للقتال رحمكم الله فاخذ كل منهم آلة حربه واتوا إلى أن وقفوا بين يدي أمير المؤمنين فوثب الامام وعزم على القتال ونادى برفيع صوته معاشر الأردال كم تدفعوا الحق بباطلكم والحق أغلب وها انا أشفق عليكم منكم على أنفسكم واعلموا ان الله تعالى أنقذ أصحابنا ناقد والقдах وقتل صاحبكم غنام وأورده بحسامي موارد الحمام فهل لكم ان تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا تصديق قولي لكم ثم نادى القдах وناقد فأجابوه وأسروا إليه فقال لهم الامام نحن قوم لا نكذب ولا يليق بنا الكذب فما أنتم قائلون (قال الراوي) فلما رأى القوم ناقد والقдах والعشرة ابطال الذين خرجوا معهم تحققوا الامر وصدقوا الامام في قوله واتوا نحوه قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان عشرة آلاف قتل منهم في المعركة ثلاثة آلاف الذين اتوا نحو الامام واسلموا وحسن اسلامهم واختلط القوم بعضهم ببعض فخذهم الامام وقرب إلى الحصن فخرج أهل الحصن إليهم واستقبلوا الامام وجيشه واسلموا على يديه وأكرموه غاية الاكرام فأقام عندهم بقية يومه في وسعة وقد كثر الله جمعه وأعلى نصرته ورفع قدره وجيشه من خارج الحصن من كثرتهم وقد ازداد فرحهم لكثرة جمعهم وانقاذهم من النار ثم إن الامام بعث طائفة وامر عليهم جنبل بن ركيع وأرسله ليكشف له الاخبار وأمره ان لا يعود إليه الا بخبر صحيح فسار جنبل من عند الامام فما عاد الا وقت الصباح

فلما اقبل على الامام سلم كل منهم على صاحبه (قال الراوي) ثم إن الامام رضي الله عنه جمع عسكره وجميع قومه وقال لهم معاشر المسلمين ان الله تبارك وتعالى أكرمكم

بكرامة الايمان وبعد ذلك فاني أريد ان ألقى بكم جميعا فيه عشائركم الا وان الله تعالى قد باعد ما بينكم وبينهم واني لأخشى ان يداخلكم الربى على قربائهم وهذا
عسكر قد اجتمعا لصاحبك فيه خلق كثير من سائر جميع العربان ثم قال يا جنبل ما
وراءك قال جنبل كل خير وسلامة يا أمير المؤمنين لان الملك الهضام قد خرج إلينا
بجميع قومه وجميع عسكره وهم مائة الف فارس ما منهم يا سيدي الا كل بطل
مداعس

غير ما معهم من الصعاليك والعبيد من سائر قبائل العربان فقال أمير المؤمنين يا جنبل
لو أنه يكون مع ذلك الكافر جميع أهل الأرض ما كبر علي لقاءهم ولقد كنت
معولا على لقاءهم وحدي يا جنبل فكيف أخشاهم اليوم وانا معي هذا الجيش والله
المستعان وعليه سبحانه وتعالى الاتكال وهو حسبي ونعم الوكيل ثم إن الامام امر
بالرحيل فتواثبت الرجال إليه كالأسود الكاسرة وأحدقوا بالامام من كل جانب
ومكان ثم نادى الامام فقال يا ناقد أنت اعرف بالطريق وهي بلادك وأنت اعرف بها
من غيرك فسر بالقوم فقال حبا وكرامة يا أمير المؤمنين ثم تقدم ناقد وبقي
الامام وجنبل ابن ركيع والرغداء بنت الخطاف وأكابر قومه محدقون به وقد اخرج
إلى ما وراء القوم وهم سائرون في أثرنا قد بن الملك فما زال ألقم سائرين وحميت
الشمس واشتد الحر وناقد في أول القوم والامام رضي الله عنه وجنبل والرغداء
من وراء القوم متباعدين عنهم فبينما هم كذلك إذ نظر ناقد فرأى فارسا مبادرا من
وراء ربوة كأنه طالب أو مطلوب وهو شك في سلاحه فنظر الفارس فرأى ناقد وهو
أول القوم (قال الراوي) فلما رآه ناقد انقض عليه كأنه الأسد إذ عاين فريسته وترك
الناس وقوفا في انظاره فلحق بهم علي فقال علي فقال لهم يا قوم ما الذي أوقفكم عن
السير

فأخبروه بخبر ناقد فقال الامام ما كان يجب ان يهجم عليه وحده فلا يامن ان
تكون طليعة القوم كامنين فيقع فيهم ثم فتقدم إلى القوم وجعل يسير بهم على مهل
لابطاء ناقد

عنه فما كان الا ساعة من الزمن وإذا بناقد اقبل والفارس معه وهو يقوده أسيرا بعد أن
أوثقه كتافا وشده من فوق رأسه بالقيد ولم يزل سائرا به إلى أن وصل إلى الامام
فلما نظره الامام رضي الله عنه تبسم وقال زادك الله يا ناقد خير فهل أنت تعرف هذا
الفارس قال نعم يا أبا الحسن انه من أكبر قومنا (قال الراوي) فقبل الامام إلى ذلك

وقال له يا أخا العرب ما اسمك قال اسمي مضارب بن عراف الباهلي فقال له يا مضارب الصدق أوفى سبيل فاكشف لنا حقيقة امرك ولا تخفي علينا منتهى خبرك ولا تخادعنا فنحن حرثومة الخداع والمكر فقال مضارب يا فتى ان فراسة العاقل لا تخيب وانا متيقن فيك انك صاحب الجيش ولكن يا أخا حسن اعطني الأمان فلما سمع الامام من مضارب ذلك قال له لك الأمان ولا تخشى ان قلت الحق واستعملت الصدق فقل ما أنت قائل فقال مضارب يا أبا الحسن ان الملك العظيم الهائل الهضام

لم بعث ولده غناما في العشرة آلاف فارس ظن أن ولده يأتي بك أسيرا فأقام يومه ذلك فلما جن الليل واختلط الظلام وآوى فراشه رأى في منامه رؤيا قد انتبه منها فزعا مرعوبا فلما أصبح الصباح بعث إلى حاشيته فقال لهم يا قوم اني رأيت الليلة في منامي رؤيا أو عبتني فقال ليه قومه يا أيها الملك العظيم أنعم المنيع لك الصباح بقومه ما رأيت في منامك فقال اني رأيت غناما جالسا بين يدي وانا أحدثه فبينما انا كذلك إذ رأيت طيرا عظيما قد انقض علي وله مخالب كمخالب السباع وكأنني اخذت ولدي وضمته إلى صدري فهجم عليه الطير وهو في حجري فاخطفه بمخاليبه ولم أقدر على خلاصه منه وأخاف ان يكون اصابه ضرر من ابن أبي طالب فلما سمعوا القوم منه ذلك قالوا أيها الملك العظيم انه داخلك وسواس أحلام لأجل تعلقك بولدك ثم انه لما سمع ذلك امر بتجهيز الجيوش ليحارب وقد عزم على المسير بنفسه وهو منتظر قدوم الجيوش إليه وجهاز جماعة وسيرهم وهم أربعة آلاف فارس وامر عليهم رجلا يقال له جويثرة بن أسد الباهلي وهو بطلا شجاعا مشهور وأمره بالسرعة ليأخذ خبر ولده فلما وصلوا إلى الحصن المشرف واعلموا بسير الامام إليهم كمنوا له في وادي الضباء بعد أن تفرقوا أربع فرق كل فرقة لها قائد منهم الف فارس وقد أمرهم الملك انك إذا صرت بينهم ينقضون عليك بأيديهم وان الوصية قد تقدمت إلى صاحب الحصن المشرف خالد بن بسطام الملقب بهجام ان ينجدهم ان هم قد عجزوا عليك والقوم في مكان من الوادي ومضايقه والأمير جويثرة بن الأسد أمير الجمع وهو في الجهة التي قبلك من جهة عطفة الوادي وقال لي سر على عجل وأشرف علي بن أبي طالب وانظر كم معه من القوم وأين

هو راجع إلى مسرعا فخرجت في امرك مجدا ولم يعلم القوم انك قد تكامل معك هذا الجيش العظيم والعسكر الجسيم فلما قدمت من جانب الوادي أسرع إلي ناقد وقبض على وقادني بين يديك فاصنع بي ما شئت فقد أخبرتك على حقيقة الحال وانا أقول قبل ان تصنع بي شيئا اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان سيدنا محمدا رسول الله فلما سمع الامام اسلامه سر سرورا عظيما ثم اقبل عليه الامام على أصحابه وقال لهم معاشر الناس ما تقولون فيما قال أخوكم وحببيكم مضارب فقالوا يا أبا الحسن أنت الامر ونحن المؤمنون وأنت القائل ونحن السامعون فجزاهم الامام خيرا ثم التفت إلى ناقد وقال له أتعرف هنا منفذا أو مخرجا نخرج منه وندور من وراء القوم حتى نخلي بينهم وبين الحصن ونترك منا جماعة ههنا يلاقون عليهم وندهمهم في مكانهم فقال ناقد يا أبا الحسن ان الطريق سالكا إلى الوادي يمينا وشمالا فان شئت فاعزم فما من أحد من قومك الا ويعرف البلاد ومسالكها ففرقنا على المكان ونحن ندهمهم من سائر الجهات فجزاهم الامام خيرا ثم أفرد مع ناقد الف فارس وقال له خذ في عرض البرية إلى أن تحاذي القوم من جهة الحصن واعطف على الجادة إليهم فإنهم إذ نظروك وقد اتيت من جهة الحصن يظنون أنها نجدة من صاحبهم الملك فاهجم عليهم وإذا قربت منهم فاحمل عليهم ومكن السيف فيهم حتى يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وها نحن سائرين من بين أيديهم وأقروا بهذه الابطال الشهم فسار ناقد بألف فارس فلما بعد ناقد بمن معه دعا الامام بجنبيل بن ركيع وقال له انني افراد له الف فارس وقال له يا جنبل خذ أنت بمين معك الودي إلى أن تأتي لي به حيا ولا أريد من القوم فسار جنبل كما امر الامام وجد في المسير ثم دعا الامام بالرداء وأفرد لها الف فارس وأمرها عليهم وقال جدي بهم من يسار الوادي وهو مجد إلى أن تأتي مكنم القوم فقالت له اسمع والطاعة فلما سارت الرغداء بمن معها تقدم إلى أن انحدر من الوادي فوجد القوم جلوسا في أماكنهم فلما نظروا إلى أمير المؤمنين وأصحابه قال جويرثة انا وحق المنيع ان القوم قد علما ممكاننا ولا انهم ظفروا بصاحبنا وأرادوا قتله فكشف لهم عن حالنا وجملة أمورنا

ولكن امهلوه إلى أن يجوزنا واخرجوا عليهم ويأتي قومك من جهة الحصن فيكونوا في وسطكم وندور عليهم بالسيف حتى نفرقهم جميعا (قال الراوي) فبينما القوم كذلك إذ أشرف ناقد بمن معه من جهة الحصن المشرف وقد ثار التراب الغبار من حوافر الخيل ففرح المشركون بذلك وظنوا انهم نجدة لهم من الحصن ليساعدتهم عليهم وقد انحدرت الرغداء بمن معها فحملت وحمل قومه معها ونادوا بأعلى أصواتهم واتى الامام وجنبل واحتشدوا القوم بجمعهم فعند ذلك علم المشركون انهم مكروا بهم وان أصحاب الإمام قد دهموهم في أماكنهم فحمل عليهم أصحاب الإمام

حملة عظيمة وكشف الامام رأسه في معمة الحرب ونادى برفيع صوته يا معشر الناس ان الله سبحانه وتعالى مطلع عليكم وناظر إليكم والملائكة تتخلل صفوفكم فكان أعدائكم اكلا وازجرهم زجرا وتقاتل الناس في ذلك اليوم قتالا شديدا فلم تكن الا هنبهة وقد أحمداوا شكر الله المشركين وقذف في قلوبهم الرعب من أمير المؤمنين وتزايد عليهم الامر فولوا منهزمين مهزومين فلما رأى جيورته ذلك علم أنه لا طاقة له بالامر وأصحابه وكان الامام لم يصادقه في الحرب في ذلك اليوم ولا وقع به فخرج جيورته من معمة الحرب وولى هاربا وتبعه أصحابه فاتبعهم المسلمون ووضعوا فيهم السيف من موضع المعركة إلى الحصن فلما نظر أهل الحصن إلى هزيمتهم امر هجان بفتح باب الحصن حتى دخلوا فيه وأوصاهم بحفظ بابه وان يكونوا عنده للمحاماه من الابطال (قال الراوي) ثم نزل هيجان شاهرا سيفه وهو كأنه البعير لعظم خلقتة فبرك جاثما على الباب والمنهزمون داخلون إلى الحصن وهو لا يصدق بنجاة نفسه ثم إن جماعة من أصحاب الإمام تقدموا بابن الملك وجندب بن ركيع والرغداء بنت الخطاف وقد اغلقوا الباب دونهم فقتلوه عن آخرهم وما سلم من المشركين في ذلك اليوم الا من دخل الحصن ومنع عن

نفسه ثم اقبل الامام على أصحابه وسار على مهل لان الامام كان لا يتبع منهزما فقط ولم يزلوا كذلك إلى أن اجتمع بقية القوم من كل جانب وساروا إلى أن وقفوا قريب الحصن متباعدين عنه يسيرا (قال الراوي) فلما رأهم هجم خاف قلبه واصفر لونه وارتعدت فرائصه فقال لأصحابه وقومه احتفظوا حصنكم فقد طرقتهم علي بن أبي طالب برجاله وابطاله وكان مع جويرثة في طليعته أربعة آلاف فارس فدخل معه الحصن مائة وسبعون رجلا وقد قتلك بقية قومه ولم يبق منهم سوى هؤلاء من وادي الطباء إلى الحصن وامر هجم سائر من في الحصن ان يعلو على السور وكان حصنا منعنا لم يكن في تلك الحصون أمتن منه ولا أوسع ولا ارفع بنا عنه وانما سمي بالمشرف لارتفاعه وعلو بنائه وطرزه وكان الرجل إذ طلع على أعلا السور ونظر يمينا يلاحظ حصن الصخر وإذا نظر شمالا يرى الحصن المنيع وكان الملك الهضام إذا طرقت طارق أو دهمه داهم أو عدو أو دار حرب بين قومه بعث باهله وأولاده وماله إلى الحصن المشرف لما يعلم من يمكنه قوته ومثانته وعلو بنيانه ومنعته (قال الراوي) ثم إن القوم لما دخلوا الحصن امتنعوا فيه وتأهبوا للقتال وعزموا عليه وحضهم وقال لهم يا قوم ان حصنكم هذا قوي ومنيع وطعامكم كثير وماءكم غزير ومع هذا فان الملك الهضام سائر إلينا بنفسه وقام عليكم فكونوا مطمئنين في حصنكم إلى أن تنظروا ما يكون من امر ملككم فأجابوه إلى ذلك وقالوا له أيها السيد نحن معك وبين يديك نقاتل بدمائنا وبأنفسنا عن حريمنا وأموالنا فنحن لا نسلم حصنا للعدو ولو قتلنا عن آخرنا ففرح هجم بقولهم ثم اقبل على جويرثة وقال بكير عليك ما نزل بك لا تهتم بذلك فانا آخذ بشارك وان كنت تجزع من الملك الهضام وإلهك المنيع فسوف أرضيهما حتى ادفع لك ابن أبي طالب فتمضي به إليهما فاجابه جويرثة في هدوء وقال يا هجم اني رأيت أبي طالب في شجاعة لم أرى مثلها في أحد من العالمين ولا فعل مثله أحد إذ كان انس ولا جن فقال هجم سوف ترى وتشوف حين أملك قبابه فبينما القوم كذلك على السور يشدد بعضهم بعضا إذ تقدم الامام وأصحابه فأقاموا بالنبال والصخور ورشقوهم بالنبال فقال الامام لا صحابه اتقوا الله عز وجل استروا بالجحف من حجارة المشركين فإنهم عالون عليكم وليس هذا الحصن كسائر الحصون واني

أريد حصنا منيعا وان سهامها إذا أتت وصلت أثرت وسهامكم إذا وصلت إليهم كانت واهية ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء وهو على كل شيء قدير فقولوا على بركة الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وترجلوا عن خيولكم وضيقوا الموكب على عدوكم فنزلوا عن خيولهم ونزل الامام عن جواده وزحف بقومه وفرقهم من سائر جوانب الحصن فاشتد القتال وتراشقوا بالنبال وتعالى القوم على أصحاب الإمام فوصلت إليهم جنادلهم وسامهم فصبروا لذلك صبر الكرام فلما نظر الامام إلى ذلك عطف وقال لقومه ارجعوا إلى ورائكم بعضهم ببعض وانعطفوا عن القتال واجتمعوا إلى أمير المؤمنين ونزل الامام مباعدا وقومه معه فتوضأ وامر الناس بالوضوء ثم قام فاذن وصل بهم صلاة الظهر فلما أتم صلاته اقبل على قومه وقال لهم يا قوم هل لكم ان تشيروا علي برأيكم فاني أرى ما أملته من هذا الحصن متباعدا الا ان يأمرنا الله بفتحه وهو على كل شيء قدير ونخشى ان تطاول القوم في القتال فيدهمنا مليكهم الذميم وان الله حامي أوليائه الأبرار وخاذل أعدائه الكفار وأخشى ان يفوتنا هذان الاثنان ومن معهما فهل فيكم من يشير علي بحيلة وخديعة نصل إليهم بها فتكلم كل واحد بما معه وكثرت الأقوال من القوم والامام ساكت يسمع قول كل من قال (قال الراوي) فلما فرغ القوم من كلامهم وثب ناقد ابن الملك قائم على قدميه وقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انك ان أشرت فأبت جرثومة الحيل والجالب لأعدائه الخبل وقد سمعت أقوال كل واحد من قومك فقل أنت قولك فأنت الموفق للصواب والفصيح في الخطاب ومنك يسمع القول والجواب فقال الامام للقوم اما لقاء الملك ومن معه فهذا شيء لا بد منه لا محاولة ولو لاقيتهم وحدي أو يأتيني اليقين واصبر إلى رب العالمين الا اني فكرت في حيلة ازجر بها هذا الحصن إن شاء الله عن قريب فقال له ناقد وما هي يا أبا الحسن وفقك الله قال يا ناقد نصنع المنجنيق كما صنعته ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عسر علينا حصن النظام فقال ناقد وما هو المنجنيق يا أمير المؤمنين وكيف تكون هيئته ومن اي شيء يصنع فقال له الامام نحتاج إلى أخشاب طوال قد قطعوا مده

أعوام وعدة يقطعها بها الخشب من مناشير وقواديم وفؤس ومسامير من حديد وحبال وكفة (قال الراوي) فقال ناقد بابي أنت وأمي ان في هذا الوادي من وراء هذا الجبل حبالا فنخذ منها ما يوافقك فتبسم الامام ضاحكا وقال يا ناقد لقد تم الله بك أمرنا ويسر عسرنا ثم التفت إلى أصحابه وقد تبين لهم السرور في وجهه وقال لهم يا قوم أسرعوا مع أحيكم ناقد وأطيعوه فيما يأمركم وإياكم ان تخالفوه في شئ فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فاخذ ناقد ومعه ثلاثة آلاف فارس وساروا وأهل الحصن شاخصون لهم ما يدرون ما هم له صانعون إلى أن وصلوا إلى البستان فأمرنا قد فرقة منهم ان تجمع ليفا من النخل وامر فرقة تحمل الأخشاب على الجمال وامر فرقة تحمل ما هناك من الحديد والصفيح والمسامير وأخشاب فلم تكن غير ساعة وقد جمعوا ما يحتاج إليه واتى به إلى أمير المؤمنين والقوم شاخصون إلى ذلك من أعلا الحصن فقال هجام لجويرثة ويحك اما ترى هؤلاء القوم وما هم صانعون أرادوا ان يسندوا هذه الأخشاب الطوال إلى جدران حصننا ويصعدوا لنا من فوقها ان ذلك امل بعيد وان مكانهم من وضع هذه الأخشاب إلى جدران حصننا فنحن العاجزون فبينما هم كذلك وإذا بالامام لما نظر إلى الليف والأخشاب والحديد ففرح فرحا شديدا وامر كل فرقة من قومه ان يشتغلوا بقية يومهم وليتتهم والامام يساعدهم بنفسه إلى أن فرغ المنجنيق وجميع آله فأمره بحمله فحملوه ومشوا به والامام معهم إلى أن قربوا من الحصن وأمرهم بنصبه فنصبوه وأمرهم بأن يعقدوا آله وحباله ففعلوا ذلك وامر القوم ان يحملوا الصخور فحملوا واتوا بها ووضعوا عند المنجنيق ولم يصبح الصباح الا وقد ركبوه وفرغوا منه (قال الراوي) فلما أصبح الصباح ونظر أهل الحصن إلى ذلك قال بعضهم لبعض يا ويلكم ما هذه الحيلة متى نصبت بايزائنا ليت شعري ما تكون هذه الحيلة وما يريد ان يصنع ابن أبي طالب فهذا قول هجام واما قول جويرثة حين سمع ذلك هجام فقال لاشك ان هذه حيلة نصبوها ليرتقوا عليها فيساوونا ثم يرموننا بنبالهم واعلم يا هجام ان كل من صعد من أعلاها فهو هالك لا محالة فإنه إذا انتهى إلى أعلاها رشقناه بنبالها

رشقا عنيفا متداركا فقال هجام صدقت في قولك ثم إن الامام أفرد الف رجل بالدروق يمنعون عن أصحابهم واخذ فرقة وجعلهم حول المنجنيق يجرون الاحبال وامر بقية القوم ان يقفوا صفوفًا بأسلحتهم وعدتهم ثم انه اخذ حجرا عظيما ووضع كفة المنجنيق وامر الرجال بجر الاحبال وتعلق بكفته وهو ينشد ويقول حجارة نازلة من ذا البطل * دامعة ترمي الأعادي بالأجل صنعها الشهم ابن عم المصطفى * مدموم الكفار من كل بطل (قال الراوي) فلما فرغ الامام من شعره صاح بالرجال وأمرهم ان يسرعوا بشد الحبال والتكبير لذي العزة والجلال فكبر القوم بجمعهم وشدوا الحبال فارتفع الحجر في الهواء بإذن الله وعلا علوا عظيما ثم انه أمرهم ان يحطوا الحبال من أيديهم ففعلوا ما أمرهم به فانقض الحجر من كفة المنجنيق وله دوي كدوي الرعد القاصف وازداد في الهواء ارتفاعا عظيما ثم وقع على الحصن فنزل على اثنين فهشمهما فلم يتحرك منها أحد فذهل القوم عند ذلك وحر واندهشوا مما حل بهم والتفت هجام إلى جويرثة وقال له الا تنظر إلى هذه الحيلة العظيمة التي نصبت فبينما هم في الحيرة وإذا بالامام اخذ حجرا آخر ووضع في كفة المنجنيق وأوصى الرجال بجر الحبال ثم جرت الرجال الحبال وكبروا ثم أرسلوا الحجر من أيديهم فهوى الحجر إلى السماء ثم سقط في الحصن فوق على جماعة من النساء فأهلكهم فعلا في الحصن وكثر الصياح والصراخ فلما نظر هجام إلى ذلك قال وحق المنيع لقد رمانا أمرهم الغلام بدهاية عظيمة فأين المنيع اليوم يمنعه عنا وعن نصرته فبينما هم كذلك حائرون إذ اخذ الامام صخرة عظيمة ووضعها في كفة المنجنيق ثم إن الامام أمرهم ان يفعلوا بها مثل فعلهم أولا فما استطاعوا ان ينقلوها من محلها وما قدروا ان يحركوها فزادهم الامام رجالا وأمرهم ان يكبروا فكبروا المسلمون وكبر الامام ثلاثا واطلقوا الحبال من أيديهم فانقض الحجر في الهواء وزاد ارتفاعا وله دوي كدوي الرعد وكان الامام قد قصد ناحية باب عدو الله الهجام وجويرثة فوقعت على الباب وكان ذاك الباب العظيم على قبة معقودة عظيمة قدمها وصارت حجارتها طائرة في

الهواء كأنها عصافير وعاد كل من صدمه حجر منه قتله فكل منهم جزع وقد ثار عدو الله هجام وجويرثة وقد تزيد بهم الخوف وصاحوا الا صبر لنا على هذا فقال هجام وحق المنيع ان دام علينا هذا الفعال ملكنا عن آخرنا ولقد كنا نرجزا الملك الهضام ان يرسل لنا أحد قومه ويسير إلينا بجيوشه فينصرنا على عدونا ولقد غلبنا وان غاب بقية يومنا هذا وليتنا لأهلكتنا علي بن أبي طالب ويملك حصننا بعد أن يقتلنا ولم يزل الامام يرمي عليهم بقية يومه فقتل منهم خلقا كثيرا فلما ولي النهار وقبل الليل وانسدل الظلام رجع الامام بمن إلى أماكنهم وتركوا المنجنيق على حالته (قال الراوي) فالتفت إلى أصحابه وقال يا قوم هذه الليلة حرس ثم إن الامام دعا بناقد وجنبل والرغداء وخالد بن الريان ووهم الحرس بالقوم وأوصاهم بمداومة السهر فقالوا السمع والطاعة يا أمير المؤمنين ثم قالوا يا أبا الحسن لو أنك اخذت معك من قومك ولو مائة رجل لطارق يطرق أو مائة يعيق فافي الحصن حيات تلسع وعقارب تلدغ فقال له يا ناقد ان لنا رب يعيننا على تلك العقارب والحيات

الأراقم ونهلك بمشيئة الله كل كافر ونحن فينا الكفاية ثم ودع القوم وسار إلى أن وصل إلى المنجنيق فوقف بإزائه وهو مستقبل القبلة ولم يزل يصلي ويتضرع إلى الله سبحانه وتعالى إلى أن مضى من الليل أكثره والناس في طيب هجعتهم ولذة رقادهم فبينما الامام في صلاته إذ سمع صرير الباب وفتح الأقفال فلصق الامام بطنه على الأرض وتحقق النظر إلى باب الحصن فرآه فتح وإذا هو بالرجال قد خرجوا منه بعضهم وراء بعض وجعل الامام يعدم واحد بعد واحد حتى انتهى إلى مائتي رجل وقد كان عدو الله هجام قد تشاور في تلك الليلة على قطع المنجنيق وقطع حالة مشابهة وقطع البستان حتى لا يبق فيه شجرة ولا نخل وهجام وجويرثة مع كل واحد منهم مائتي

رجل من صناديد القوم وشجعانهم فلما خرجوا من باب الحصن أمروا من بقي من قومهم ان يغلقوا باب الحصن من ورائهم ثم أقبلوا يمشون وقد احفتوا حسهم وحركتهم

ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا المنجنيق والامام مراقب لهم وقد امتشق سيفه من جفيره وقبض عليه بيده وعلى جحفته وهو لاصق ببطنه علي الأرض ولم يداخله هلع

ولا جزع وهجم وجويرثة في أوائل القوم فسمع جويرثة يقول وحق المنيع يا هجم انا لا نأمل علي بن أبي طالب ان يعلم بمكاننا فلا بد ان يأتينا ويصل بشره إلينا ثم انه امر طائفة ان يسيروا إلى البستان فيحرقوه بالنار فتوجه جماعة من القوم إليه وتقدم الباكون إلى المنجنيق جويرثة وهجم يقول وحق المنيع لا قصدن علي ابن أبي طالب أينما هو نازل ولآخذنه أسيرا ذليلا ولآتين به وأوصله إلى الملك الهشام والمنيع يفعل فيه ما يشاء ويختار كل هذا والامام يسمعه وهو صامت ولم يرد عليهما جوابه وهو صابر لاحكام الله تعالى ولم يزالوا كذلك إلى أن وصلوا المنجنيق وهموا ان يقلدوه فعند ذلك وثب لهم الامام قائما على قدميه وصرخ عليهم صرخته المعروفة بين القبائل بالغضب فدوي منها الوادي وقال لهم إلى أين يا أولاد اللثام فذهل القوم واندهشوا وبهتوا ولم يجدوا مفرا مما نزل بهم فبادرهم الامام رضي الله عنه بذى الفقار وجعل يضرب يمينا وشمالا ولم يزل الامام يقتل فيهم إلى أن ولوا منهزمين على وجوههم هارين والى حصنهم طالبين واما جويرثة فإنه شخص ولم ينتقل من مكانه ولم يتحرك من موضعه من شدة ما اصابه واما هجم فإنه لما عاين ذلك قلب جواده وعطف ركض إلى جهة الحصن وصرخ بمن فيه افتحوا ففتحوا له وقتلهم فدخل الباب من خلفه وقد جرى الامام وراء من كان معه من القوم وقتلهم جميعا خارجا عن الحصن وكانت عدة القوم مائتي رجل فلم يدخل الحصن غير أربعة وسبعين رجلا وقتل الباكون وقد كانوا دخلوا قبل هجم (قال الراوي) واما الامام فإنه لما فرغ من قتل بقية القوم عند باب الحصن ورجع إلى المنجنيق وجد جويرثة واقفا وقد أمسك الله جوارحه فلم يستطع ان يتحرك بحركة فأعلن الامام بدعائه ليسمع قومه لما علم أنهم مطاولون إليه فنادى يا معشر الناس لا يضرتكم القلق ولا يداخلكم الأرق فاني بعون الله سالم وبنصره غانم فاني قاتلت قتالا لا أرجو به الا رضا الجبار ودمار الكبار فاستبشر الناس بقوله وفرحوا بكلامه وعاد الامام رضي الله عنه إلى صلاته وحشيته لمولاه وجويرثة باهت يراه ويسمع قراءته ونداه وينظر إلى ركوعه وسجوده وتفرعه وتعفير وجهه من التراب ولم يزل الامام كذلك إلى برق الفجر فاذن الامام في ذلك

المكان فعلم آذانه جميع عسكره فأجابوه من كل ناحية ومكان ثم إن الامام صلى صلاة الفجر في مكانه وجلس يذكر الله حتى طلوع الشمس وأقبلت أصحابه فلما نظر أهل الاسلام إلى جويرثة والامام وهما كالأسود الكسرة الهائلة ففرحوا بسلامة الامام فنزلوا حتى بادوا إليه فقال لهم الامام انزلوا حتى يتضاهى النهار بارك الله فيكم فنزلوا يتحادثون معه كيف صنع في ليلته وهو يتحدثهم بما وقع له في ليلته فبينما هو جالس وإذا بالشمس أشرقت وامتلاً بنورها الأرض فنظر الامام إلى الحصن وإذا عليه عنة منصوبة وأحبال مفتولة وكفات مطبوعة وجنادل موضوعه فبينما هم ينظرون إلى ذلك إذ اخذتهم الأحجار من كل جانب وكان إبليس لعنه الله صنع للقوم المنجنيق وأخبرهم انه رسول المنيع قال فلما رأى الامام ما حل بأصحابه قال يا ناقد اما تعلم هذا الحصن من مدخل قال يا أمير المؤمنين لا اعلم له مدخلا الا من عين الأطباء

وهي ان تضع حجرا فيه ليحجز الماء عنا وندخل آمنين فامر الامام أصحابه بفعل ما امره ناقد ثم دخلوا واحد واحد قال فلما تكاملوا داخل الحصن هجموا على المنجنيق فحطموه فاتتهم جنود عدو الله إبليس وهجموا على القوم فنادى الامام لا تحاربوا مع الجن دعوني لهم ثم إن الامام هجم على الجن فسمعه الناس عند هجومه يقول بلوامع الأبراق من نور الجبار أطفئ نار المردة الأشرار وأزحهم بأسماء الله الكرام الشريفة المنيعة وسر اقسام الله العالية يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ثم غاب في السرب فلم يسمع له أحد كلام فلم تكن الا ساعة وقد سمعوا من السرب صياحا وضجة ولم يزل متماديا وقد خمدت الأصوات واقشع الدخان وزاد الشرار ولم يسمع الناس للامام كلاما بعد ذلك ولم يعرفوا له خبرا وقد انظر الناس رجوع الامام فلم يرجع فقلق الناس لذلك قلقا شديدا وماج العسكر والناس يسيرون من فم السرب إلى المكان الذي فيه العسكر ولا يطيب لاحد منهم كلام ولا يقر لهم قرار وكل منهم قلق على الامام ولم يزالوا كذلك الا ان مضى من الليل الثلث فبينما القوم في أشد القلق (قال الراوي) وإذا هم يسمعون صوت الامام

ينادي من أعلى الحصن نصر من الله وفتح قريب فعد ذلك اجابه جميع أصحابه بالتكبير والتهليل وقد أطلقوا له الأعنة فلما قربوا من باب الحصن سمعوا أصوات من داخله تنادي عليهم الأمان الأمان يا بن أبي طالب والامام يناديهم إلى أين اللثام فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ما ارجع عنكم بمشيئة الله حتى أدد فيكم الجميع وأشتت منكم الشمل، ثم وضع فيهم السيف وصار يضرب يمينا وشمالا فتكاثر القوم عليه فصار يجمعهم بجحفته ويدفعهم فيكر دسهم فينزل إلى الأسفل الحصن عند ذلك يصيرون هشيماء فأهلك منهم خلقا كثيرا

ورأوا منه ما لا طاقة لهم به فعند ذلك صاح من بقي منهم الأمان الأمان يا ابن أبي طالب فقال لهم الامام لا أمان لكم عندي يا أولاد اللثام حتى تقولوا لا إله إلا الله محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتف بعضهم بعضا ولم يبق منهم أحدا الا أوثقوه كتافا فانحدر

الامام من الحصن إلى أسفله وعمد إلى باب الحصن وفتنه وقال لا صحابه ادخلوا وكبروا معي على بركة الله وتوفيقه وعونه، فكبر القوم ودخلوا بأجمعهم فرحين مسرورين ثم إن الامام جلس يحدث ناقد عن الذي جرى له في السرداب مع المردة ثم مع عدو الله هجام فإذا هو به قائم فوقف بين يدي الامام رضي الله تعالى عنه عند رأسه ورفسه

برجله ولكنه لم يعجل له بالقتل ولكنه أيقظه على مهل وقال له قم يا ويلك هل أنت امنة وتحصنت بغرور الشيطان، ها انا علي بن أبي طالب قد أوصلني إليك الرحمن فقال له ومن أين جئت وما تصنع فقال له جئت إليك يا عدو الله لأقبض روحك ولا أزال الان حتى يوصلني إلى الملك الهضام وإلهه المنيع وأحرقهم في النار التي صنعوها بأيديهم فقال هجام يا ابن أبي طالب من دخلت علي فقد زاد سحرك على السحرة ومكرك على المكرة فغضب الامام رضي الله عنه غضبا شديدا من هذا الكلام وتقدم إليه وقطع رأسه واخذها وقال للقوم هذه يا قوم رأس صاحبكم وكبيركم هجام وقد عجل الله بروحه إلى النار فلما سمعوا من الامام هذا الكلام هاج بعضهم وحملوا جميعا على الامام رضي الله عنه فحمل رضي الله عنه عليهم

حملته المعروفة فتكاثروا عليه فناداهم إلى أين يا لئام فوالذي بعث ابن عمي بالحق بشيرا

ونذيرا ما ارجع عنكم إن شاء الله تعالى حتى أفنكم عن اخركم بالسيف أو تقولوا بأجمعكم لا الله الا الله محمد رسول الله فلما سمعوا ذلك قالوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لهم الامام لا أمان لكم حتى يكتف بعضكم بعضا

فأجابوه وأوثقوا بعضهم كتافا ودخل أصحاب علي رضي الله عنه فوجدوا أهله قد آمنوا فقال لهم رضي الله عنه تفرقوا في الحصن وجمعوا ما كان فيه فأخذوه ووضعوه في قلعة هجام بن أسد الباهلي وختم عليه ثم انه عمر الحصن بالمسلمين الذين معه وامر عليهم هون بن صفوان الباهلي وأوصاهم بحفظ الحصن وحفظ ما فيه من الأموال والأمتعة وغير ذلك وأقاموا في الحصن إلى آخر النهار ثم تفكر رضي الله عنه في العواقب فامر أصحابه بالخروج من الحصن فخرج علي وخرج أصحابه إلى أن اتوا المكان الذي كانوا فيه أولا فلما نزلوا وتكاملوا تولى على حرس القوم فلما كان وقت السجر وهو يحول حول أصحابه مثل الراعي الشفوق على أغنامه وإذا هو بثلاث فوارس مقبلين على مادة الطريق فلما تحققهم رضي الله عنه ترك أصحابه وانطلق عنان جواده إليهم من قبل ان يصلوا إلى عسكره فلما وصل إليهم قال لهم من أنتم يا وجوه العرب ومن أين أقبلتم وقال أين تريدون فظنوا أنه من الحصن المشرف فقالوا نحن طليعة من جيش الهضام قد قدمونا لنا خذلهم هذا الغلام علي بن أبي طالب وقد كان بعث قبلنا طلعة مع جويرة بن أسد وهي أربعة آلاف فارس ليأخذوا له خبر هذا الغلام والى أين وصل فهل عندك منه خبر يا هذا فقال لهم رضي الله عنه بشئ الاخبار وأقبح الآثار، اما جويرة فقد أسلم وقر لله تعالى بالوحدانية وها هو معنا مسلما وموحدا واما أصحابه فقد قتلوا عن اخرهم واما علي فهو انا الذي أكلمكم وأنتم بين يديه فلما سمعوا ذلك ذهلوا وهموا بالفرار فلوى الإمام علي رضي الله تعالى عنه واحد منهم وضربه بالسيف فوقعت الضربة على رأسه ووصل السيف إلى صدره فتكرس إلى الأرض ثم هم بالاثنين الآخرين فقالوا يا ابن أبي طالب ابق علينا فقال لهم علي رضي الله عنه لن يجيركم من سيفي الا ان تقولوا لا إله إلا الله محمد

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح علي باسلامهم ثم سار الاثنين بين يديه فاتي بهم إلى عسكره

وسألهم عن الملك الهضام فأخبروه بخبره وأقام علي رضي الله عنه بقومه بقية يومه

فلما برق ضياء الفجر اذن الامام وصلى بالناس صلاة الصبح ثم اقبل عليهم وقال
معاشر الناس ان هذا عدو الله الهضام قد خرج إليكم بجنوده وعساكره وقد قرب
منا ولم يبق بيننا وبينه غير مسيرة الراكب المجد يوم ومعه مائة الف فارس غير ما
اجتمع إليهم بعد مسيرهم فما الذي ترونه من الرأي هل نسير إليهم أم نمتهل حتى
يسروا إلينا مع أن سيرنا إليهم وهجومنا عليهم أهيب فاني لا افعل شيئا الا بمشورتكم
ولا أخالفكم ولا أحملك ما لا تطيقون فقالوا بأجمعهم يا ابن عم رسول الله افعل ما
تريد ودبر امرك كيف شئت فانا لكلامك سامعون ومبادرون غير مخالفين (قال
الراوي) فارتحل بالقوم وسار وجد في المسير إلى أن وصل إلى الحصن الأسود فنظر
إليه الامام فإذا هو كأنه قطعة من الليل الدامس فتأمله الامام فإذا المشركين قد
تحصنوا فيه وشهروا سلاحهم ورفعوا رايتهم فلما أشرف عليهم عسكر الامام لم
يكثرثوا به لثقتهم بكثرتهم وان الملك الهضام سائر إليهم فعند ذلك نزل الامام
بجيشه ثم سار الامام وحده وسار إلى الحصن فلما قرب إليهم ناداهم معاشر الناس
ان كان لكم شفقة على أنفسكم ورغبة في حياتكم فافتحوا لنا باب الحصن فان أبيتم
فنحن نسفك دماءكم بعد أن نقتلكم عن آخركم أو تقولوا لا إله إلا الله محمد رسول
الله فان قلتموها فأكف عنكم الشر ويأتيكم مني الخير (قال الراوي) فعند ذلك
اجابه صاحب الحصن الأسود وهو مساور السماك الباهلي وقال يا ابن أبي طالب انا
نعلم أن انصرام عمرك هو الذي أوصلك إلى ما وصلت إليه وبلغك إلى ما بلغت وقد
وقعت في أوطاننا بهذه الشذمة القليلة والعصابة اليسيرة فلما سمع الامام من عدو
الله غضب غضبا شديدا وقال ستعلم يا ملعون فما على الرسول الا البلاغ ثم رجع عنه
إلى مكانه وقد اصفر وجهه من الغيظ فسأله الناس عن امره قالوا يا أبا الحسن مالنا
نراك متغير اللون فقال لهم مما سمعت من عدو الله مساور السفاك من فوق جدار
الحصن واني لا أفارقه حتى يأذن الله سبحانه وتعالى وأظنه صاحبهم ألفا ثم يأمر
الحصن فوالله لو وصلت إليه لهان على فعله وكلامه ثم ذكر لأصحابه ما قال عدو
الله ثم قال معاشر الناس أشيروا علي بما اصنع فاني أخشى من قدوم عدو

الله الهضام ان يملك هذا الحصن فإنه حصن منيع وما فتحنا الا والذي بعده
أشد منه فقال جويرثة يا أمير المؤمنين ان فتح هذا الحصن بعيد والوصول إليه صعب
شديد لان حجارته أشد من الحديد والماء عندهم عزيز وطعامهم كثير وصاحبه
المتولي عليه فارس عنيد ولذلك سموه السفك فهو المعرف بالسفك بين قبائل
العرب لفكه دماء الرجال ونزل الامام بجانب الحصن بحيث لا تصل إليهم
سهامهم ولم يزل الامام قائما إلى وقت الزوال فبينما هو كذلك إذ أشرف عليه
رجل على مطية قد ارسل زمامها وطول حطامها وهي تحرق الأرض خرقا وتقطع
البيداء قطعا إلى أن وصل إلى عسكر المسلمين فنادى برفيع صوته معاشر الناس اني
رسول إليكم فلما سمع الامام ذلك قال لك الأمان فأناخ الرجل مطيته وقال له
أنت ظننت ان صاحب الجيش أوصلك من قريش فقال الامام نعم فتقدم الشيخ
وناوله الكتاب (قال الراوي) فاخذ الامام الكتاب وقرأه فإذا فيه مكتوب
اسمك اللهم من صاحب الدار والقرار ملك الملوك المذل لهيبته كل سيد وصعلوك
الهضام بن عون بن غانم الباهلي الملقب بمرارة الموت إلى الحدث العصفور والطفل
المغرور علي ابن أبي طالب اما بعد فان الذي فعلته ووصلت إليه وأدر كته فبقاء المنيع
عليك واحسانه إليك فلا تغتر بفعلك والا زحفت عليك بأسود زائرة وابطال للحرب
متبادرة فيتركونك كشيء كان ولا بان وان أنت اطلعت واتيت مع حامل هذا أبقينا
عليك وأحسننا إليك فانظر لنفسك وتدبر لأمرك وقد اعذر من انذر فلما قرا الامام
رضي عنه ذلك الكتاب صرخ في وجه موهوب صرخة المعروفة وقال قل له
ليس عندي الا السيف فولى راجعا من حيث جاء وهو لا يصدق لنفسه بالخلاص
من بين يدي الامام فصار يجد المسير إلى أن وصل إلى الهضام فلما نظره الهضام
قال يا موهوب اخبرني ما قلت وما قيل لك فقال أيها الملك هو جاوز المقدار
ويرمي من يخاطبه بالنار وما كنت مصدقا اني راجع من زجراته ونهراته وانني قد
جادلته مجادلة المطارد وأرجوا بذلك رجوعه عما هو عازم عليه قاصد فما رأيت
يزداد الا غيظا وانه لم يكن اهلا لرد الجواب ولا أبقى موضعا للخطاب فانظر ما أنت
صانع

فان هذا الغلام همام وأسد ضرغام وقضاء نازل لا يرد ولا يقاوم فلما سمع الملك ما قال

موهوب جعل يعرض على أنامله من شدة غيظه ثم خلع كبراء قومه وسادت عشيرته ووجوه أهل مملكته فلما اتوا إليه ووقفوا بين يديه قال لهم يا قوم ما تقولون في هذا الامر الذي وصل إلينا من هذا الغلام وان الملوك والسادات تقول في شأن من اتخذ لنا فاجابه كبراء قومه ان نذهب إليه ونأخذ روحه بين جنبيه (قال الراوي) واما ما كان من الامام فالتفت إلى ورائه وكان كثير الالتفات فنظر إلى غيرة نائرة وعجاجة متعلقة مرتفعة وحيول كثيرة وهي سائرة نحوه (قال الراوي) فلما رأهم الامام نادى معشر الناس قربوا من هؤلاء اللئام ودونكم والخيل يا بني الكرام فعطف الناس على الحصن فظلوا مسرعين والى الخيل مبادرين فاحتدت بهم العطفة والسياح من أعلا الحصن فظن اللئام ان الامام هارب بأصحابه فقال له مساور إلى أين تريد يا ابن أبي طالب وقد جاء لاستقبالك لما علم بقدمك فلم يرد عليه جوابا بل إنه تقدم إلى جواده واستوى عليه راكبا وكثر الطعن والضرب حتى دار المشركون حول الامام كالحلقة الدائرة فبينما هم كذلك وإذا بصائح يصيح بالامام فقصد نحوه فهو ناقد وقد كان ناقد قد قاتل في هذا اليوم قتالا شديدا فبينما ناقد في معمعة الحرب إذ عرفه عمه غمام رأس القوم فصاح يا ناقد فقال ويحك يا ناقد ابن أخيه وقال لأخذنك قبل

ابن أبي طالب ثم حمل عليه وهاجمه وهم ان يقتلعه من بحر سرجه فما أمكنه فبادره بضربة وظن أنه قد قتل منها فتلقاها ناقد في الدرقة ولوحها قبل ان تصل إليه ولم يصبه منها شيء فلما رأى ذلك هجم عليه عمه غمام وهو لا يريد أحد غيره فداخله وأراد ان يقتلعه من سرجه وضرب الآخر يده على عمه وربط بعضهما في سروجهما وتعاركا على جواديهما فبينما ناقد وعمه غمام على هذه الحالة إذ سمع صوته أمير المؤمنين فصاح ناقد لأجل ان يعرف الامام مكانه وكان عدو الله رابطه فقصد الامام نحوه وإذا هو ناقد متشابك مع عمه غمام فناداه يا ناقد ابشر فقد اتاك الفرج من عند الله ومن امرك فلما نظر عدو الله هجمة الامام عليه وسرعته إليه سبق ناقد وتأخر إلى ورائه وصرح بقدمه فمالت إليه الكتائب وخرج إليه مساور من الحصن بقومه

وأنجده وقال الامام إلى أين يا ابن أبي طالب من يخلصك مني وأين ابن عمك محمد هيهات ان عاد ينظر إليك بعد هذا اليوم فتقدم الامام إليه وضربه ضربة هاشمية علوية وقال مع ضربته الله أكبر خذها يا عدو الله من يد علي ولي الله فتلقاها عدو الله في درقته فقطع السيف الدرقة ونزل إلى رأس عدو الله فجرحه جرحا يسيرا فلما أحس عدو الله بالضربة ولى هاربا وللنجاة طالبا فاستجار في قومه فتقدمت الرغداء بنت الخطاب إلى الامام وقالت له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتأذن لي ان احمل عليهم وأبددهم

فأذن الامام وكشف لثامها واطلقت عنان جوادها وحملت على القوم وحمل الامام معها وقال لها يا رغداء لا تخافي ومعك أميرك فلما سمعت الرغداء ذلك من الامام صارت كالأسد إذا عاين فريسته وحطت في القوم فصارت كل من ملكته ترسل رأسه عن جثته وجالت فيهم يمينا وشمالا حتى قتلت منهم مقتلة عظيمة فلما عاين المشركون ذلك

منها قالوا لا صبر لنا على هذا ثم تأخروا إلى ورائهم فصاحت بهم إلى أين يا أولاد اللئام

فتقدمت إليها الفرسان واحتاطت بها الشجعان وسار الامام في اثر الرغداء واحتاطت الرجال وكثر القتال ولم تنزل الحرب بين الفريقين وازدادت العساكر وعلا الصياح بين الفريقين فقال الامام لأصحابه يا قوم في هذه الساعة ينصرنا الله عليهم فاحملوا بارك الله فيكم واصدقوا الحملة بالضرب ثم حمل الامام وما زال حتى صار في وسط المشركين فنظر علما كبيرا هائلا وقد نظم رمحه من أعلاه إلى أسفله باللؤلؤ الرطب وكان ذلك العلم هدية إلى الهضام فقال يا أخي خذ هذا العلم معك لتفتخر به على ابن أبي طالب وليعلم ابن عمه محمد وجميع من معه لا يقدر على مثله وكان إذا سار نصب

ذلك العلم على رأسه فأخذه غمام وسار إلى الامام في ذلك اليوم ونظر إلى حسنه ولمعان جواهره وكانت أحباله من الابرسم موثوقة بجوانبه تحمله الرجال وتمسكه الابطال فلما نظر الامام ذلك العلم وصفته قال لا صحابه يا قوم احملوا عليهم فاني حامل على صاحب العلم فغممني ان أملكه منه واقتلعه من يده إن شاء الله تعالى فتقدم إليه ناقد وقال وانا معك يا أمير المؤمنين وتبادر القوم إلى الامام وكل منهم يقول وانا معك يا ابن عم الرسول فلما وصل إليهم الامام رضي الله عنه تصارخوا بأجمعهم وصاح كبيرهم يا للعرب أنجدوني قبل ان يأخذ العلم فتصارخت الرجال بالامام من كل جانب ومكان ولم يرجع عن الذي معه العلم حتى ضربه

ضربة هاشمية عربية فقسمة قسمين ولم ينطق بكلام ولم يبرح من مكانه فمال العلم من يده فلما رآه الذين هم ماسكون الاحبال تركوه وولوا هاربين وللنجاة طالبين فبادر الامام رضي الله عنه إلى العلم واخذه قبل سقوطه إلى الأرض وضمه بين يديه فأسرع القوم وهم يظنون أن لا يطيق بحمله الامام ولما حمل العلم وضمه بين يديه فأسرع القوم وهم يظنون أن لا يستطيع بحمله الامام ولما حمل العلم انطلق به ولوى عنان جواده إلى قومه فلحقه غمام ومساور ويتصارخون بالامام وكان قد خرج الامام بالعلم من بين المشركين ولم يرمح جواده إلى أن دخل إلى وسط

عسكر

المسلمين وقال الله أكبر وكبر المسلمون معه وفرحوا فرحا شديدا في ذلك اليوم فلما اخذ

العلم من المشركين تحسرت قلوبهم وانقهروا قهرا عظيما حتى كادوا ان يتفرقوا من شدة

غيضهم ثم اقبل الامام على أصحابه وقيل لهم يا قوم ان هذا اليوم قد ولى بضياته واقبل الليل بظلامه

فاحملوا بنا على القوم حملة رجل واحد فانا لا نأمن من أن القوم عندما ينسدل يذهبون إلى

حصن ويتعجبون فيه فيعظم علينا الامر فركب القوم خيوله وأنشدوا بأسلحتهم إلى أن صاروا كالأسود المغلة الضاربة وقد اشتد عزمهم بأخذهم العلم ونصرهم عليهم فعند ذلك قال لهم الامام عليهم بارك الله فيكم وعليكم فحمل الامام وحمل القوم في اثره فلم يكن الا كلمح والبصر وقد انهزمت المشركون فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار فأخذهم السيف من جميع الجهات والأقطار فتفرقوا يمينا وشمالا وقد عمد غمام ومساور

إلى الحصن ومعهم فيئة قليلة من قومهم والامام في أثرهم يحصد فيهم إلى أن أيقنوا بالهلاك فدخلوا الحصن وهم لا يقصدون بالدخول فغلقوا الباب وتركوا أصحابهم

من خارج الحصن وكان الحصن الأسود لا تعمل فيه المعاويل فلما أوثقوا

الحصن بالترابيس رجع الامام إلى من كان بخارج الحصن ومكن السيف فيهم

فقتلهم عن آخرهم وتفرق المسلمون إلى وراء المنهزمين وصار كل من القوة

قتلوه واخذوا سيفه وفرسه ثم اتى المسلمون الامام فوجدوه قد افنى من

كان قصد باب الحصن عن آخرهم فاقبلوا من كل الجهات واتوا إلى مكان المعركة

واخذوا جميع ما كان على المشركين وقرنوا الخيل بالخيل وحملوا عددهم على

الرواحل وقد أقر الله على أعين المسلمين بقتل ملكهم وعدوهم واخذوا الغنيمة

ودفعوها إلى الحصن المشرق وارتدوا سالمين ثم نزل الامام متباعدا عن الحصن

المشرق فجعل في حيلة يملك الحصن قبل وصول الجيش إليه وقد قدم الامام وامر أصحابه جميعا بالسهر وترك المنام فان هذه الليلة أعظم مما تقدم لكم من الليالي لأننا قرييون من جيش الملك ولا نأمن ان يهجم علينا هذا الفاجر ان اللذان في هذا الحصن ومن معهم ويدهموننا في ظلام الليل وإذا هجم عليكم القوم فليحرص كل منكم الآخر حين

ينام وها انا أطوف عليكم وجعل الامام رضي الله عنه يطوف بأصحابه وقد مضى من الليل

نصفه فبينما هو شاخص وإذا هو قد لاح على بعدو وهو يظهر تارة ويخفي تارة فتأمله الامام رضي الله عنه فلما تحققه الامام أمسكه وقال اخبرني ما اسمك قال يا ابن عم الكرام

إلي الأمان إذا قلت قال نعم وحق ابن عمي ان أصدقته فلك الأمان فقال الرجل يا أبا الحسن

ان غماما أخوا الملك لما هرب ودخل الحصن الزمني ان اكشف له خبر جرجس أخيه بذلك

كرها لك وها انا بين يديك فامننت فطالما أحسنت وان هلكت فما انا متعرض لك فيما

فعلت فعند ذلك تبسم الامام من قوله وفرح فرحا شديدا وقال له من أين نزلت امن الباب

خرجت فقال الرجل لا وحياتك يا مولاي انهم من حين دخلوا الحصن هربا منك وأوثقوه بالأقفال والنرايبس وما جسروا ان يفتحوه خوفا منك وانما أوثقوني بالاحبال وأرسلوني من أعلا الحصن فلما سمع الامام فلما سمع الامام ذلك قال وكيف تصنع حين يرفعوك

إليهم إذا رجعت فقال يا أبا الحسن انهم عهدوا إلي بعلامات جعلوها بيني وبينهم آخذ حجرا

من الحجارة وانقر جدران الحصن ثلاث نقرات فإذا سمعوها علموا اني صاحبهم فيرسلوا

إلي الاحبال فأوثق بها نفسي وبقى بيني وبينهم علامة أخرى وهو اني اجر الاحبال ثلاث

مرات على الحائط فيرفعوني إليهم فقال الامام لما سمع ذلك أكبر نصر من الله وفتح قريب

وبشر المؤمنين ثم التفت إليه وقال ما اسمك يا هذا قال اسمي غالب فقال الامام قم يا غالب وانزع ثيابك فقال له وما تريد بثيابي فقال الامام أرى فيها رأيا فعند ذلك نزع غالب ثيابه وهو يظن أن الامام يقطع رأسه وقال له بحق ابن عمك لا تقتلني فقال له

الامام
يا غالب لك الأمان ولا أهلك وأولادك فطيب خاطرک وقر عينك فلا ينالك مني
الا الخير فلما سمع غالب ذلك طابت نفسه وناوله ثيابه وكانت قديمة ونزع
عمامته وناوله إياها فأخذها الامام ولبسها وتقلد بسيفه من تحت اطماره واقبل
على أصحابه وسلم وامر عليهم ناقد وجنبل والرغداء وخالد وأوصاهم بحقل

العسكر وجميع ما معهم ثم قال لهم يا قوم كونوا على خيولكم وتقربوا إلى الحصن فإذا سمعتم نداء فأتوني مسرعين ولتكن منكم جماعة ينظرون صوب الطريق فإذا أشرف عليكم جيش ووصل إليكم فاعتنوا بالتهليل والتكبير فاني أسرع إليكم إن شاء الله

تعالى ثم صار إلى جهة الحصن والقوم يتعجبون مما عزم عليه فقال غالب يا أمير المؤمنين انا اشهد ان لا اله الا الله واشهدوا ان محمدا رسول الله فسر الامام لذلك سرورا عظيما ثم سار الامام وهو غير مكترث إلى أن وصل الحصن وكان غالب قد وصف له الموضع الذي نزل منه هذا وأهل الحصن منتظرون من خبره فبينما هم كذلك إذ لاح لهم خيال الامام وهو مقبل فظنوه صاحبهم مساور يا غمام قد جاء رسولك أرجو ان يكون جاء بسرورك وما زال الامام سائر إلى أن جاء إلى الحصن فاخذ حجرا ونقر به جدران الحصن ثلاث نقرات متواليات فلما سمع القوم نقر الحصن أيقنوا انه غالب فأرسلوا له جبلا من ليف النحل فأخذه الامام وشد به وسطه وهو يفكر كيف يطيقون حمله وخشي ان ينكروه لثقله فلما مكن الامام نفسه بالجبيل صبر وحمد الله وحرك نفسه بالجبيل ثلاث مرات فأيقنوا انه صاحبهم غالب فحروه فلم يستطيعوا ان يحركوه فقالوا هذا ثقيل علينا أنقل من المرة الأولى فقال لهم مساور لاشك انه كسب من مكان الواقعة وحمل نفسه من الأسلحة والدروع فأرسلوا إليه جبلا اخر وأجمعوا عليه الرجال وقالوا طلعه من قبل ان يسمع بنا علي بن أبي طالب فيأتي إلينا فلا حاجة به وأرسلوا إليه جبلا ثانيا فخف نفسه معهم فهان عليهم وما زالوا كذلك إلى أن وصل إلى أعلى الحصن ووقف على رجله فتقدم إليه مساور وقال ما أبطأك وما كان من امرك وخبرك يا غالب فرفع الامام رأسه إليه وقال يا ويلك يا مساور بل انا علي بن أبي طالب فلما سمع القوم ذكر علي التجموا على

الكلام ونظر بعضهم إلى بعض من أعلى الحصن فتقدم الامام إلى مساور السفاك ورفع بين يديه والقي به من أعلى الحصن على رأسه فهوى إلى الأرض فتهشم عظمه في لحمه

فلم ينطق ولا يتحرك في مكانه وعجل الله روحه إلى النار ثم التفت الامام إلى غمام وجرده سيفه وقد وقف من دونه الرجال فصرخ فيهم صرخته المعروفة عنه ففرقتهم

يمينا وشمالا وتقدم الامام إلى غمام وهم ان يعلوه بالسيف فقال يا ابن عم رسول الله كرهت ان أموت تحت السيف والآن فانا اشهد ان لا إله إلا الله وان محمد رسول الله فقال له الامام يا غمام لقد أفلحت ونجحت وعمم الله بك السرور وفرح الامام باسلامه فرحا شديدا ثم إن غمام لصق جنبه إلى جنب الامام وصاروا يضربون بالسيف في أهل الحصن إلى أن قالوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا الله الا الله ففرح الامام باسلامهم فرحا شديدا ثم انحدر إلى أسفل الحصن ليفتح الباب فلما فتح باب الحصن كان أول من لقيه من أصحابه

الرغداء بنت الخطاف وسيفها مشهورا في يدها فرات غماما إلى جانب الامام فقالت يا سيدي ما أبقا لك على غمام وهو رأس القوم فقال لها يا رغداء انه قد أصبح أخا لك في الدين وصار من جماعة المسلمين فلما سمعت ذلك تقدمت الرغداء

إلى غمام وقبلت رأسه وقالت له زادك الله فخرا على فخرك وعزا على عزك ثم اقبل ناقد ابن الملك فلما نظر إلى عمه غماما وهو واقف بإزاء أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين هل باقي على كفره وغيه أو لا فقال له يا ناقد قبل رأس عمك فإنه صار شريكك في الدين فاقبل ناقد على عمه وقبل رأسه وصافحه مصافحة الاسلام وفرح به فرحا شديدا ثم إن الامام امر الناس ان يجمعوا الأسلاب فجمعوها ووضعهم بين يديه فاخذ الأموال والأمتعة ووضعها في دار عدو الله مساور وختم عليها واخذ جميع الخيول والمواشي وحصنهم في الحصن وجعل فيه أقواما مسلمين يحرسونه وامر عليهم من يحفظه وأقام الامام ينتظر ما يكون من امر الله عز وجل (قال الراوي) وكان الملك هضام حين ارسل أخاه غماما ومعه السبعة آلاف المتقدم ذكرهم أوصاهم ان يقدموا بعلي بن أبي طالب إلى بين يديه وجهاز أخاه علقمة في سبعة آلاف اخر وأمره ان يسير في الوادي حتى يأتي إلى ابن بن أبي طالب من خلفه فهذا ما كان من امر غمام وقد هداه الله إلى الاسلام وهذا ما كان من امر علقمة فقد اخفى الله امره وبطء غمام خبره وقد من الله على الامام بفتح الحصن وقتل صاحبه مساور واسلام جميع قومه ثم بعث الامام رجلا من قومه وقال له اكشف لنا الطريق عن عدو الله الهضام وانظر ما يظهر لك وعد إلي بالخبر راجعا بلا تعويق وبعث رجلا وقد كل واحد ناحيته كما امره الامام وامر جنبل ان يذهب بالأسلاب إلى الحصن المشرف ويأخذ معه مائة عبد

فصار كما يهره الامام ولم يزلوا كذلك على ما أمرهم الامام إلى أن ولى نصف النهار وقد أبطأ على الامام خبر الفارسيين والطليلة فقلق الامام من ذلك قلقا شديدا وكان علقم لما خرج إلى الحرب الامام حاد عن الطريق آخر لأجل ان يقطع خط الرجعة على الامام فتقابل مع جنبل وأراد ان يأخذ عنه الأسلاب والأموال فبرز إليه فارس وصار ينادي يا ويلك الق حسامك وقف مكانك فقصر جنبل حتى كاد عدو الله ان يصل إليه فعطف عليه جنبل كأنه شعلة نار وضربه بالسيف إلى صدره ولم يزل حتى وصل إلى السرج فتجندل عدو الله إلى الأرض صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه إلى النار واخذ جنبل جواده ودفعه إلى رجل من أصحابه ثم وقف وهز سيفه وقال ويلكم يا أعداء الله فانا رفيق ولي الله أبي الحسن (قال الراوي) فلما سمع عدو الله علقمة ذلك من جنبل اشتد غضبه حتى قام في سرجه وقعد من شدة قهره وقال وحق المنيع لقد كبر عارنا وزاد شرنا وصول هذا العبد اللئيم إلى عبث صاحبنا ولقد غفل المنيع ورمانا بكل امر شنيع ثم عطف جنبل وسيفه بيده مخضب بالدم إلى عدو الله علقمة وما زال كذلك إلى أن أراد قتاله فنادى برفيع صوته يا أهل الكفر والطغيان هلموا إلى أهل القرآن ومن رفضوا عبادة الأصنام والأوثان وعكفوا على عبادة الله العظيم الملك الديان هل من مبارز هل من مناجز فانا الأسد الظمآن إلى شرب دماء الابطال الشجعان فلما سمع عدو الله علقمة ذلك من جنبل نزع عمامته من فوق رأسه غاضبا وجلد بها الأرض في انفعال وقال وحق المنيع وزلاه بعد العز والملك تناديننا العبيد الأراذل ان هذا من أعظم النكال ثم قال وحق المنيع لأزيلن عن المملكة حجابها ولأهدن من سورها ولا خرجن إلى هذا العبد اللئيم بنفسي ولأبردن بقتله كبدي ثم أصلبه واخذ عدة حربه وهم بالخروج إلى أن جنبل فتعلق به رجل يقال له شكا وكان ذلك الرجل شجاع ومن أصحاب الملك الهضام وكان شديدا الباس قوي سريع الاختلاس فقال له أيها السيد اني وحق المنيع عازم على الخروج إليه وقاصد بالهجمة عليه وقد كنت أقسمت بالمنيع ان لا أقاتل أحدا حتى أقاتل علي بن أبي طالب والآن قد هاجت شعوري ومروءتي ولا عاد لي مصطبر عن الخروج الا هذا العبد الذميم فخرج شكا كأنه سهمان غليظ من النار وهز سيفه وزاد رمحه إلى أن دنا من جنبل ونادى ويحك يا جنبل لقد مت أمجنون أنت أم سكران وحمل عليه وأرسل سنان رمحه

إليه فعطف على جنبل ولو ضربه بالسيف فقصفه من أعلاه باليستنان وسار بقية العود في يده كالجرید فألقاه من يده إلى الأرض وأراد ان یجرد سيفه فبادر جنبل بضربة قبل ان یمس حسامه وضربه بالسيف على رأسه فقطع البيضة ونزوا إلى أن وصل السيف إلى محارمه وسحب السيف منه فنكس عدو الله على رأسه وعجل الله بروحه إلى النار فلما نظر عدو الله علقمة إلى ذلك لم یطق صبرا دون ان صرخ بقومه فاجتمعوا كلهم بین يديه وقالوا ما تريد أيها السيد أتريد ان نحمل عليه لجمعنا فقال لا وحق المنيع لا یخرج إليه غیري فكفاني هذا العار وكان علقمة جريئا على قتال الرجل لا یهاب الابطال یبادر إلى النزال فلما نظر جنبل إلى خروجه تهيا لقتاله وبادر بالخدیعة قبل ان یصل إليه وقال یا سيدي طابت نفسك ان تخرج لقتالي وسفك دمي ونسيت ما واليتني وأكرمتني وما كنت الذي أمدد يدي إليك بسوء لقد قدمت على فعلي ولو علمت ما في قلبك علي من الغیض فلا أمر لك فصاح به علقمة عند ذلك وقال إليك عني فما أسوأك من عبد لقد تعلمت الخداع یا ملعون دع هذا الكلام فلا بد لي من قتلك وآخذك وأرميك في النار المنيع بكل امر شنيع یقال جنبل وحق الذي من على بالاسلام وهو الذي خلق السماوات والأرض لئن أظفرتني الله بك یا لعین لأقطعن رأسك هذا ما كان منهما واما كان من الملك الهضام لبس خلعة الغضب ولبس درع الغضب فالویل لمن لقيه من أعدائه ثم سار ولم تقدم إليه طلیعة بل تقدم بنفسه امام القوم وتلاحقت به العساكر بالخیل والرايات والبنود وأقبلت الكتائب تلو بعضها بعض قبيلة اثر قبيلة وساروا إلى أن وقعت العین على العین فنظر الامام صفوف المشركين فصاح بأعلى صوته معاشر المسلمين ان أعدائكم متأهبون لقتالكم فكونوا على صفوفكم ومراتبكم إلى أن أعود إليكم ثم خرج أمير المؤمنین بنفسه وتقدم إلى القوم بالاعذار والانذار ولم یزل یتقرب إليهم حتى كاد ان یخالطهم وهو یسير على مهل من غیر طیش ولا عجل فاضطربت الصفوف وتصارخت الرجال من حول الملك العظیم وقالوا له قف مكانك یا غلام فهذا محل الواقعة ومرتبة بالمملكة ومواقف السلطنة والملك بعینه یراك ویرعاك فان كنت رسولا فقل ما عندك هذا والامام لا یسمع كلامهم ولا یرد جوابهم إلى أن دنا بهم (قال الراوي) ففرح الملك بذلك فرحا شديدا

وكان نيته ان يسير الامام تحت طاعته ثم قال يا مسطاح ولئن رغبت بن أبي طالب في جنتي حتى يدخل تحت طاعتي لأجعلنه الموكل بناري وجنتي واما أنت يا مسطاح فلك عندي ما تطاولت إليه يدك من الاحسان فعند ذلك عطف مسطاح جواده نحو الامام فناداه الملك قف مكانك يا مسطاح فامسك جواده ووقف مكانه فمر له الملك بخلع الديباج وتاج مرصع الدر وعقد به قبة ثم قال يا مسطاح كن في هذه القبة ليراك بعين المهابة والفخار ويشاهد عليك من هذه المملكة آثار ثم خلع من إصبعه خاتما من ياقوت وقال خذ هذا الخاتم قل له هذا خاتم الأمان من عند الملك وسيرى بين يديه العجائب عليها سروج الذهب الأحمر وقد نثر على رأسه علمين زاهرين والعبيد يقودوا النجائب وسار مسطاح إلى أن وصل إلى

الامام فنظر الامام إليه والى زينته فظن أنه الملك الهضام فتأهب الامام فلما قرب منه الامام تقدم مسطاح وصاح به الامام قف مكانك واحبس زمامك وأظهر كلامك فاللسان ترجمان الانسان فمن أنت يا هذا وفيما أقبلت فناداه مسطاح يا مولاي انا راجل محبك ومن اجلك مجروح وانا بغير مطال وكثرة مقال اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله فناداه الامام سعدت يا هذا بالايمان فما الذي قدمت إليه فقال له مسطاح الأقرن يا مولاي ان لي امر اتيت إليك مساعدا ومسارعا انا صاحب حصن الفواكه وان معي رجالا في الحصن يسمعون قولي فان أحببت ان ارجع إليهم وادعوه للاسلام وما من الله على من الايمان وأكرههم في الكفر والفسوق والعصيان واتسبب ان اهذهم من ضلالة الكفر والطغيان واني يا مولاي آمن من الله تعالى ان يكون هلاك القوم وعد والله على يدي إن شاء الله تعالى فشكره الامام وجازاه خيرا وقال له يا مسطاح ارجع إلى أن يحكم الله بما يشاء ويختار فرجع إلى الملك الهضام وقد أشرق وجهه بنور الايمان فنظر إليه الملك فرأى نور الهداية

يلوح من وجهه وعليه هيبة الاسلام فاستقبل الملك وقال مسطاح أرى وجهك منيرا فقال أيها الملك اني لما سرت وتوجهت إلى ناحية القوم ما زلت سائرا إلى أن اتيت رجل في الناس مثله لا يجوز عليه خديعة ولا يخفى عليه نكر واني ذكرت له مناقب الملك وكرمه ورغبته في جنتك وحذرته من نارك فلان واستكان

ودخل تحت الطاعة والأمانة الا انه ذكر لي ان له معك خطابا وعتابا وامر ان يظهر عندك هناك في مشهد من قومك فلما سمع الملك الهضام من مسطاح ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وظن أن ذلك حق وغرق في بحر التحير وامر الناس بالنزول فنزلوا وتفرقوا في تلك الليلة على القوم ما عمهم ودفع منها لمسطاح مائة ينحراها

لأهل الحصن وقال يا مسطاح خذ هؤلاء النياق وانحرها لقومك ليكونوا معنا في السرور فقام مسطاح وقاد المطايا بين يديه إلى أن وصل إلى الحصن فجمع قومه وقام فيهم كالخطيب وشوقهم إلى الجنة وحذرهم من النار ورغبهم في عبادة الملك الجبار ودعاهم إلى الاسلام وشوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا سيدنا ما الذي تريد منا ان نفعله فقال لهم ان تقروا لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم

بالرسالة فقالوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فعند ذلك خر مسطاح ساجدا شاكرا لله تعالى ثم قال لهم انحروا الآن الجزور على اسم الله تعالى فقد جمعت فرحتان ونحن مسرورون بأخذ الأمان من ابن أبي طالب فابشروا يا قوم فاني نجيتكم في الدنيا من العار فهذا ما كان من خبر الامام فإنه حين رجع مسطاح من عنده نزل وامر الناس بالنزول ثم جمع أصحابه وقال هذه الليلة آخر الليالي مع الكفرة اللئام فاستبشروا بقوله فلما اتى الليل وأسدل الظلام وأضمرت المشركون النيران وتحارست الفئتان فلم ير الناس في تلك الليلة أكثر حرسا على القوم من الامام حذار من حيلة أو كسبة في ظلام الليل فكان يحوم بنفسه على أصحابه إذ لاح له فارس ير كض جواده ركضا خفيفا فامتشق الامام سيفه بيديه وما زال سائرا إلى أن وصل إلى الفارس وهم ان يضربه فصاح به فإذا هو مسطاح فقال له اهلا وسهلا ومرحبا يا مسطاح ما الذي اتاك في هذا الوقت قال يا سيدي فرج عاجل وسرور شامل فيما أنت إليه متطاول فقال الامام أتبشرني باسلام قومك فقال يا سيدي قومي أسلموا وأبشرك بالوصول إلى عدوك وعدوي الهضام وان قومي قد أسلموا أربعة آلاف فارس والملك الهضام قد وصل إلي في عسكر قليل من قومه وهو الان داخل الحصن واعلم يا مولاي ان القوم متحيرون فلما سمع الامام ذلك الكلام من مسطاح تقلد بسيفه وتمنطق بجحفته وركب جواده

وسار مسطاح بإزائه فلما وصلوا إلى الحصن وجدوا الناس جالسين في انتظارهم فقالوا اهلا وسهلا بسيد الشجعان فناده الملك الهضام أين كنت يا مسطاح قال أيها الملك كنت عند صديق لي ولك دعوته يأكل معك الطعام ليشملة من الملك الاكرام فلما نظر الملك إلى أمير المؤمنين والى هول خلقتة وكبر جثته وعرض مناكبه امتلأ قلبه خوفا وفزعا وقال من هذا يا مسطاح فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم تقدم إليه أمير المؤمنين فتوثب القوم وأسرع مسطاح إلى باب الحصن فأغلقه واخترط حسامه وقال الله أكبر فتح ونصر من آمن وخذل من كفر يا لئام والتفت

إلى قومه وقال يا جند أظهروا سيوفكم فأظهروا سيوفهم ونادوا بأجمعهم نحن نشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وما القوم بأجمعهم إلى ناحية الامام وهو مضيق على الهضام وأصحابه فناداهم الامام أيها الناس أمهلوا عليه وتفرقوا عنه وتركوه فرجع الناس عنه وسيوفهم مشهورة في أيديهم ثم إن الملك الهضام قال يا ابن أبي طالب عليك بالمهل وترك العجل فقد رفعت عندي منزلتك ولولا أنه لاح لي من امرك الحق وبان الصدق قال هو فيه شيء غير ذلك فقال الامام لا يكون شيء من امرك الحق وبان الصدق قال وهو فيه شيء غير ذلك فقال الامام لا يكون شيء ذلك فقال الامام قم بنا الان ان كنت آمنت بالله ورسوله وادع قومك إلى الاسلام وان كنت غير ذلك فإنه اعلم ثم اتى الامام إلى الهضام فقال لهم أنتم قائلون فقالوا ما نحول عن ديننا ابدا فقال الامام لمسطاح وقومه دونكم وإياهم فما استتم كلامه حتى عطفوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم والهضام ينظر بعينه واصطكت أسنانه بعضها في بعض فالتفت

إليه أمير المؤمنين وقال دونك وقومك يا هضام امض إليهم وأسرع بالجواد فقد أمهلتك وأمهلت قومك وجميع من معك إلى الصباح فان أصبح الصباح واتيت مسلما فلك الأمان ومن طلعت عليه وهو مصر على دينه فلا أمان له عندي الا السيف فتقدم الهضام إلى جواده فركبه حين أعطاه الامام الأمان وكان لا يصدق بالخلاص فصار مسطاح وقومه يشيرون للامام ان يسمح له بالخروج لما يعلمون من كفره وخديعته فتبسم ضاحكا من كلامهم فلما خرج الهضام قال مسطاح يا أمير المؤمنين لقد أطلقت من يدك أسدا عظيما وقل ان يعود وان يقع في يدك

مثل هذه المرة فقال أمير المؤمنين يا مسطح لقد حمى نفسه بقوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا سبيل لنا على من قالها والليلة آخر لياليه والله مهلكه وانكم سترون منه ومن صمته عجائب وغرائب ثم هم الامام بالخروج فقال مسطح يا سيدي اما تأكل من طعامنا وتشرفنا وتسرق قلوبنا قد ذبحنا على اسم الله تعالى فقال اني أخشى على إخوانكم ان يطرقهم طارق من هذا المنافق فجاء الاكل فاكل الامام وحمد الله وأثنى عليه وركب جواده وهم بالخروج وأوصاهم وقال اغلقوا حصنكم ولا تخافوا فاني راجع إليكم وأطلق عنان جواده وخرج من الحصن فنظر الأرض وهي تموج من اسطكك الأرض وصهيلها وزعيق الابطال فقال الامام لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان عدو الله الهضام لما خرج من الحصن وفاز بنجاة نفسه أطلق عنان جواده حتى وصل إلى معسكره وصرخ فيهم وقال يا ويلكم اركبوا الخيل واهجموا على القوم في الليل فقد حصدوا قومكم بالسيف وقد كاد ان يحصد صاحبكم لولا سبق الاجل فاغتنموا غفلة القوم لان الامام قد خلف أغنامه سائبة وقام عبد الله بنفسه إلى أصحاب الإمام الا وقد غشيهم جنود عدو الله الهضام وزحف عليهم الرجال وتزاعقت الابطال وكان أصحاب الإمام متأهبين للقتال كما أمرهم وقد تولى حرسهم ناقد بن الملك والرغداء وجنبل فلما سمعوا زعقة عدو الله على قومه فتواثبت أصحاب الإمام كالأسود الزائرة واجتمعوا ولصقوا مناكبهم إلى بعض والتفوا حتى صاروا كالحلقة الدائرة وقال بعضهم لبعض كونوا أشداء لان أميركم لا يغفل عنكم فاحتوت عليهم جنود الهضام من كل جهة وهم يظنون أنهم ظافرون بهم فلما التقى الجمعان أصحاب الهضام ان ما أملوا منهم بعيد والوصول إليهم صعب فاشتد القتال وازدحمت الابطال وصار الرجل لا يعرف صديقه من عدوه فبينما هم كذلك إذ سمع الفريقان زجرات وصرخات مزعجات وكان الامام قد اقبل وعلا صوته على جميع الأصوات فحمدت عند صرخته جميع الصرخات فلما سمعه أصحابه وهو يقول الله أكبر نصر من الله وفتح قريب يا معشر المسلمين اصبروا يا أولاد الكرام فقد آتاكم الأسد الضرغام ليث بني غالب علي بن أبي طالب ثم حمل الامام عقب كلامه وكبر تكبيرة عظيمة فاجابه قومه عند ذلك التكبير وحمدت أصواتهم

ولم يزل الامام يخترق المواكب ويشتهاها ويضرب فيهم السيف إلى أن وصل إلى قومه وقد طحن الابطال وهلك فلما وصل إلى أصحابه نادى معاشر الأصحاب قد اتاكم أميركم وحامي حومتكم احملاوا برك الله فيكم فحملوا وهو في أوائلهم وعمد إلى الكافر الغدار المنافق رأس الكفار وقال له هلم إلى الموت والدمار من الفارس الكرار قاتل الفجار ومبيد الكفار وقامع الأشرار وسائقهم إلى الويل والدمار ومفنيهم بالصارم البتار فلم ير له الامام خبر ولا وقع له على اثر وقد اختلط القوم في الظلام وأذاقوا بعضهم الويل إلى أن كلت الخيل من تحتهم وكانت ليلة يا لها من ليلة ما رأى الناس أعظم من قتالها ولا أشد من نزلها ولم ير مثلها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل كذلك الا ان طلع الفجر فافترق القوم عند الصباح وقد

ملئت الأرض أشباحا بلا أرواح إلى أن غاصت الخيل في الدماء فلم يكن غير قليل من الليل حتى فقد المشركون صاحبهم الهضام وافتقد المسلمون أميرهم فلم يروه ولا علموا بغية الهضام ولا المسلمون علموا بغية الامام اما المسلمون فوضوا أمرهم إلى الله عز وجل وقد اجمعوا أمرهم على أن يقاتلوا إلى أن يفنوا عن آخرهم واما ما كان من امر أمير المؤمنين فإنه كان يدور من العسكر في القتال وهو يطلب عدو الله الهضام فلم يجده ولم يقع على خبره في وقت الحرب فبينما هو كذلك إذ نظر إلى عدو الله الهضام وهو خارج من معمة هاربا وعلى وجهة طالبا إلى الحصن الذي هو حصن الحصون فخرج الامام في اثره إلى أن وصل إلى الحصن فإذا عليه الحرس الشديد فأراد ان يصل

إلى باب الحصن فلم يجد سبيلا فجعل يطوف حول الحصن يمينا وشمالا فإذا هو بخرق كانوا اصطنعوه لأجل خروج المطر منه إذا اجتمع في الحصن مكانه فنظر الامام فيه فوجده ضيقا فشبك في حجر وجذبه من مكانه وأزاله عن بنيانه ثم اقطع آخر ولم يزل كذلك إلى أن دخل الحصن والقوم لا يعلمون بشئ من ذلك بتوفيق الله تعالى واقبل الامام يمشي في الحصن كأنه يعرفه سابقا ويعرف طريقه ومسلكه هدي من الله سبحانه وتعالى ولم يزل كذلك إلى أن وصل إلى القبة التي

فيها الصنم بتوفيق من الله وهو متعلق في الهواء والقناديل موقودة لا تطفأ ليلاً ولا نهاراً وليس عنده مساعد ولا خادم فنظر الامام إليه فماج الصنم واضطرب في القبة وتخبط في حيطانها ورمت المردة الموكلون به بنيرانه وارتفع الصنم حتى صار في سماء القبة ورمي الامام من أعلى القبة بالصخر والجنادل وخرج من فم الصنم لهيب النار وظهر للناس رؤوس بلا أبدان وأبدان بلا رؤوس فلما نظر الامام إلى تلك الفعال من الصنم والشياطين والمردة لم يكبر عليه شيء من ذلك بل تبسم ضاحكاً وصاح بهم يا ويلكم انا من تعرفوه ولا تنكروه انا البلية انا الصاعقة عليكم انا مفنيكم

جيلاً بعد جيل فلما فرغ الامام من أوصافه ازداد الامر وكثر الشر وهجمت النيران وعلا الدخان وتصاعدت الزعقات وعظم الشأن ودارت المردة والشياطين حول الامام من كل جانب ومكان فلما نظر الامام ذلك عزم بأسماء الله العظام فعند ذلك جمدت نيرانهم وذهب دخانهم وعاد الصنم المنيع ملقى صريع فاخذ الامام ووضع في مكان آخر واما الهضام فإنه لما سمع زعقات الامام خاف خوفاً شديداً وولى هارباً من معمعة الحرب هارباً وركب جواده إلى أن وصل إلى الحصن الأقصى وكان قد ترك فيه سرية من الرجال فلما ان وصل باب الحصن صرخ بقومه فعرفوا صرخته فنزلوا إليه مسرعين وفتحوا له الباب وسألوه عن حاله فلم يرد عليهم غير أنه قال اغلقوا بابكم واحفظوا حصنكم لئلا يدخل علي بن أبي طالب ومضى إلى الصنم المنيع قاصداً فنزل عن جواده وجعل يهرول ويوسع في خطاه حتى فتح القبة ودخل للصنم مستغيثاً ومستجيراً فلما توسط القبة وكان الصباح قد أصبح نادى إلهه المنيع وقال الهي هل عندك ملاذ من سيف الإمام علي ثم رفع إليه فلم يلقه فقال ما انا وأنت الا في البلية سواء فكل منا هارب من علي بن أبي طالب فاما انا فموجود واما أنت فمفقود ووقف وهو حائر وإذ بقائل يقول له بل نزل البلاء من يد الامام المرتضى فلما سمع الهضام التفت إلى ورائه فإذا هو بالامام واقف يخاطبه فاندesh من ذلك وجار وقال يا ابن أبي طالب أنت من السماء نزلت أم من الأرض نبتت فقال له الامام انا معك أينما توجهت ثم اني لصنمك اخذت وهو بي يدي فلما نظر الهضام إلى صنمه وهو في يد الامام جعل يقبله ويقبله ويكي عليه ويضرع إليه انقض عليه الامام وقبض عليه قبضة

مزعجة وجلد به الأرض فقال يا ابن أبي طالب خذ الفداء عني وعن صنمي المنيع
الإله الرفيع فقال له الإمام تعسا بك وبصنمك ثم مد يده إلى عمامته فحلها وأوثقه كتفا
وتركه لا يستطيع التحرك فبينما الإمام كذلك إذ سمع صرخات قد علك وضجات
فلم تحقق ذلك ترك الهضام في مكانه وصعد حتى صار على أعلى السور وتخلط بالقوم
وها

لا يعلمون ما حل بالهضام ولم يعرفوا الإمام فبينما هو ينظر أعلى الوادي إذ رأى
المنهزمين

من المشركين متوجهين من حصن الفواكه إلى حصن الأقصى من يدي المسلمين
والمسلمون

من ورائهم يأخذونهم من كل جانب ففرح الإمام بذلك فرحا شديدا وسمع مسطاح
وهو

ينادي إلى أين يا أبناء الأوذال تمضون فلما نظر الإمام زادت به الأفراح وهذا
والمشركون ينادون يا سرار بن طارق افتح لنا الباب فصرخ سرارا لا نفتح لكم الباب
لئلا يدر كنا يدر كنا علي بن أبي طالب كل هذا والإمام بينهم ولم يرد عليهم جوابا ثم
امتشق سيفه

ووثب فيهم وقال يا ويلكم ان سلمتم لي أنفسكم واستأسرتهم بأجمعكم والا محوتكم
بهذا السيف

عن آخركم فعند ذلك ساحوا بأجمعهم الأمان يا ابن أبي طالب فقال كتفوا بعضكم
بعضا

فاخذ القوم في تكتيفهم حتى لم يبقى أحد منهم واما ما كان من جيش الهضام
والمسلمون فإنهم قد قد

أحاطوا بالمشركين فبينما هم كذلك وإذا بعاج قد طلع من ناحية حصن الفواكه وبينهم
فارس على جواد سابق فلما وصل حمل هو بقومه ففرحت به المسلمون حين نظروه
وإذا هو

مسطاح الأقرن وهو ينادي ويقول أبشروا بالنصر يا حزب الرحمن فانا مسطاح انا قاتل
الفرسان فلما سمع المشركون ذلك ولت الادبار وتوجهوا نحو الحصن والديار فلما
وصلوا إلى الحصن نادوا يا سرار يا ابن طلوق افتح لنا الباب والمسلمون من ورائهم
هذا والإمام قد كتف الهضام في مكانه فسمع الضجات والصرخات وصعد إلى
أعلا الحصن فلما وصل المنهزمين نزل الإمام من أعلا الحصن إلى المكان الذي فيه
الهضام

وقال ويحك ما أنت قائل فقال الهضام اشهد علي يا ابن أبي طالب انك اخذت
بسحرك

جميع أولاد الملوك فعند ذلك غضب غضبا شديدا فما صبر دون ان قام إليه ورفع

وجلد به
الأرض فادخل أضلاعه بعضها في بعض ولم يتحرك ولم ينطق وعجل لله بروحه إلى
النار
وتقدم الامام إلى الصنم واخذ صخرة عظيمة وضربه بها فقطعه قطعاً وامر به الهضام
ان يحملوهم ويطرحوهم في نارهم التي صنعوها وجعل على البيد زبانية واخذ جميع
العبيد ودخل الجند وخذ كل شئ كان فيها من الذهب والجوهر واليواقيت فلما فرغ

الامام من ذلك ارسل إلى جميع الحصون واحضر أمراءهم بين يديه وأقام عليهم ناقد سلطانا كما كان أبوه أولا وأقام بينهم شرائع الايمان والاسلام وامر ببناء المساجد وتلاوة آيات الله واکرام الفقراء والمساكين والأيتام وامر على حصن الحصون عمه غمام كعادته في حياة الهضام وأقام أيام قلائل وأراد ان يتوجه إلى مدينة يثرب لمشاهدة بن عمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ناقد ابن الملك وقال يا أمير

المؤمنين لي حاجة فقال له الامام اسال عما بذلك تعط كل ما تريد إن شاء الله تعالى فقال يا

سيدي أريد ان أتزوج الرغداء بنت الخطاف فقال السمع والطاعة وأرسل إلى الرغداء واعلمها بذلك فقالت له السمع والطاعة فصنع لهم الامام رضي الله عنه وليمة عظيمة ولها بين العرب وزوجه أمير المؤمنين بالرغداء في تلك الليلة وعطاها جميع ما تحتاجه النساء وأقام معها في عيشة هنيئة ثم إن الامام رضي الله عنه وضع لهم الوليمة وأرخت عليهم سرادقات الخلوة وتجهز إلى السير نحو مدينة يثرب فقام معه ناقد وكبراء قومه ورؤساء حصونه ومن معه من أصحاب المسلمين وصار يودعون أمير المؤمنين فكان كلما اتى إلى حصن من الحصون يقيم يوم أو يومين وهو يعلمهم في شرائع دينهم حتى خرج من الحصون وناقد معه وقومه يتبعونه ويودعونهم فأمرهم الامام بالرجوع فسار وجد في السير وكان كلما اتى إلى حصن يقسم غنائه خمسة خماس ويعطي الأمير الذي فيه هو وقومه خمسا ويجعل الأربعة أخماس إلى بيت مال المسلمين وسار علم الأنوار الذي غنمه منصوب على رأسه إلى أن اتى المدينة المنورة فلما قرب من المدينة هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنام ومصباح

الظلام ورسول الله الملك العلام وبشر بقدم الفارس الهمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وبشره بما فتح على يده قتل عدو الله الهضام فأمر رسول الله المهاجرين والانصار إلى البراز لملاقاة علي الكرار وفرحوا بذلك فرحا شديدا وركبوا خيولهم وركب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تقابل معه وضمه إلى صدره

فضمه المسلمون والجيوش وفرحوا فرحا شديدا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم والعلم

الأنوار الذي جاء به الامام وفرقها على أهل المدينة ولم يرك أحد من المسلمين الا وأعطاه نصيبه وكانت مدة غيبة الامام ورجوعه أربعين يوما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(انتهى)

